جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

السنة النبوية والارتقاء بالحضارة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع

إعداد

د / محمد مهدي محمد نصر

مدرس الحديث وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر – فرع أسيوط – مصر

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الثاني

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

السنة النبوية والارتقاء بالحضارة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع

محمد مهدي محمد نصر

قسم الحديث وعلومه ، كلية أصول الدين والدعوة ، جامعة الأزهر ، فرع أسيوط، مصر

البريد الالكتروني : *1625070024@azhar.edu.eg*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على دور السنة النبوية المطهرة في بناء الحضارة الإنسانية، والارتقاء بها على مستوى الفرد والمجتمع، وتسليط الضوء على بعض مظاهر الحضارة الإنسانية التي تأثرت بتعاليم السنة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – مما يسهم في بناء شخصية الإنسان بصورة شاملة وكاملة دينيًا وأخلاقيًا وفكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

يهدف البحث إلى بيان الأثر الإيجابي للسنة النبوية على الفرد، وأن السنة النبوية تسهم في تكوين شخصية فاضلة متكاملة، تنمي جوانب الإيمان والأخلاق والسلوك ونحو ذلك، ليكون شخصية إيجابية، وتؤهله ليصير منتجًا ونافعًا وفعالًا في مجتمعه.

أما على مستوى المجتمعات، فيهدف البحث إلى بيان أثر تعاليم السنة النبوية على تعزيز تكاتف أفراد المجتمع، وإرساء مبادئ الأخوة والعدالة والمساواة والرحمة والمحبة والحرية والتكافل الاجتماعي وغيرها من المبادئ السامية التي تخلق مشروعًا حضاريًا متوازنًا متكاملًا.

كما يهدف إلى بيان مميزات الحضارة الإسلامية الإنسانية، وأنها منبثقة من الوحيين (الكتاب، والسُّنَّة)، وبيان توازنها وتكاملها وانفتاحها واعتمادها المسؤولية والمحاسبة للإنسان.

وفي الختام يهدف البحث إلى بيان عالمية الدين الإسلامي وإنسانيته، وبيان البعد الحضاري في الإسلام من خلال السنة النبوية والسيرة العطرة، وأن تعاليم السنة النبوية

تظهر آثارها في بناء الحضارة الإنسانية وإثرائها في شتى المجالات، كالحث على عمارة الأرض والحفاظ عليها، والحث على الزراعة وإتقان الصناعة، وفي أمور الطب وسائر العلوم الإنسانية، وحتى في أمور النظافة والطعام والشراب والنوم، الأمر الذي يوضح مدى أهمية السنة النبوية والاستفادة منها في إتمام أسس الحضارة الإنسانية، كما يوضح إنسانية الحضارة الإسلامية، وأنها حضارة الغد بإذن الله.

الكلمات المفتاحية: السنة، الارتقاء، الحضارة، الإنسانية، الفرد، المجتمع.

The Prophetic Sunnah and the Advancement of Human Civilization at the Individual and Societal Levels

Mohammad Mahdi Mohammad Nasr
Teacher of Hadith and its Sciences at the Faculty of Usul al-Din and Da'wah – Al-Azhar University – Assiut Branch – Egypt

Email: *1625070024@azhar.edu.eg*

Abstract

This research aims to shed light on the role of the purified prophetic Sunnah in building and elevating human civilization at both the individual and societal levels, and to highlight some aspects of human civilization that have been influenced by the teachings of the prophetic Sunnah – may peace and blessings be upon him – which contributes to the comprehensive and complete development of a person's character religiously, morally, intellectually, socially, and economically.

The research aims to demonstrate the positive impact of the Sunnah on the individual; that the Sunnah contributes to the formation of a virtuous and well-rounded character, nurturing aspects of faith, morals, behavior, and so on, to become a positive person, qualifying them to be productive, beneficial, and effective in their community.

As for the community level, the research aims to demonstrate the impact of the teachings of the Prophet's Sunnah on enhancing the solidarity of community members, and establishing the principles of brotherhood, justice, equality, mercy, love, freedom, social solidarity, and other noble principles that create a balanced and integrated civilizational project.

It also aims to clarify the characteristics of Islamic civilization as a human civilization, which is derived from the two revelations (the Quran and the Sunnah), and to demonstrate its balance, completeness, openness, and reliance on responsibility and accountability for the individual.

In conclusion, the research aims to demonstrate the universality and humanity of Islam, and to highlight the civilizational dimension in Islam through the Prophetic Sunnah and the noble biography. The teachings of the Prophetic Sunnah show their impact on building and enriching human civilization in various fields, such as encouraging the cultivation and preservation of the earth, promoting agriculture and mastering industry, and in matters of medicine and all human sciences, as well as in matters of cleanliness, food, drink, and sleep. This illustrates the importance of the Prophetic Sunnah and its benefits in establishing the foundations of human civilization, and it also highlights the humanity of Islamic civilization, which is, God willing, the civilization of the future.

Keywords: *Sunnah, Advancement, Civilization, Humanity, Individual, Society.*

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، ورحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الله ﷻ خلقنا على هذه الدنيا، وأمرنا بعبادته، قال – تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

والعبادة تعني امتثال أمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ، ومن الأوامر: إصلاح النفس، وإصلاح المجتمع، وإعمار الأرض، وبناء الحضارة، قال – تعالى :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (٢) ، وقال – جل شأنه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٣)، أَيْ: جَعَلَكُمْ فِيهَا عُمَّارا تُعَمِّرُونَهَا وَتَسْتَغْلُّونَهَا(٤)، فإصلاح النفس، وإعمار الأرض بأنواع البناء والغرس والزرع أمور مطلوبة من بني الإنسان، والعمل على تحقيقها بأسس ومبادئ وقيم تؤدي في النهاية إلى ما يسمى بالبناء الحضاري.

وقد اهتم القرآن الكريم، والسنة النبوية بتلك الأسس، والقيم، والمبادئ التي ترتقي بالحضارة الإنسانية، وتؤهل الفرد، والمجتمع للقيام بمهامه التي كلفه الله ﷻ بها.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال معرفة كيفية معالجة السنة النبوية لقضية تأهيل الفرد، والمجتمع، وبناء الحضارة، والنظر إلى هذه القضايا من عدة زوايا، بينما تشهد الأنظمة الوضعية خللًا في بناء الحضارات، وخللًا في توازن أركان البناء، والتي تتألف

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) سورة الشمس الآيات ٧ – ١٠ .

(٣) سورة هود جزء من آية ٦١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣١/٤ .

من الأفكار، والأفراد، والأشياء، فتأتي السنة النبوية لتعالج القضايا، وتقدم الحلول في كل مجال بطريقة متوازنة، متكاملة، بحيث لا تتعارض مع أي مجال آخر، ودون أن تشهد خللًا في البناء الحضاري، ولا تخفى أهمية ذلك.

سبب اختياري للموضوع:

١- إثبات أن السنة النبوية سبقت الأنظمة الحديثة، والنظريات الفلسفية، والقوانين الوضعية، والأسس التربوية المعاصرة التي وُضعت للإسهام في تقدم الإنسان، وبناء الحضارات.

٢- بيان تأصيل السنة النبوية للمبادئ، والقيم التي تسهم في بناء الحضارة الإنسانية، وتعزيز فهم نصوص السنة التي دعت إلى ذلك.

٣- بيان كيفية اهتمام السنة النبوية بجميع جوانب الإنسان الروحية، والعقلية، والمادية، والاجتماعية.

٤- بيان ضرورة استنباط الدلالات من السنة النبوية التي تعالج القضايا المعاصرة.

٥- إثبات أن السنة النبوية – باعتبارها أحد الوحيين – عالمية صالحة لكل زمان، ومكان.

٦- تقديم البحث في مؤتمر كلية البنات الإسلامية – جامعة الأزهر- فرع أسيوط.

تساؤلات البحث، وفرضه:

١- هل أسهمت السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية؟

٢- هل اهتمت السنة بتأهيل الفرد المسلم ليسهم في بناء الحضارة؟

٣- هل عنيت السنة النبوية بجميع جوانب تطور الإنسان، وبناء حضارته؟

٤- ما القيم، والمبادئ، والأسس التي ارتكزت عليها السنة في تأهيل الفرد، وإصلاح المجتمع، وبناء والحضارة؟

٥- هل السنة النبوية صالحة للتطبيق في كل زمان، ومكان؟

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة : فتشتمل على سبب اختياري لهذا الموضوع، وأهميته، وتساؤلات البحث وفرضه، ومنهجي فيه.

وأما التمهيد: ففيه بيان مفهوم الحضارة الإنسانية لغة، واصطلاحًا، وبيان مكونات الحضارة.

المبحث الأول: ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الروحي، والأخلاقي.

وفيه مطلبان: **الأول** : ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الروحي.

والمطلب الثاني: ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الأخلاقي.

المبحث الثاني: ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب العلمي والثقافي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تشجيع السنة النبوية على تعلم العلم النافع، وبيان أهميته وقيمته.

المطلب الثاني: تحذير السنة النبوية من تعلم العلوم التي تضر الفرد، وتهدم المجتمع.

المطلب الثالث: السنة النبوية، وعلوم التقنية الحديثة (التكنولوجيا).

المبحث الثالث: ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب العمراني والاقتصادي.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تشجيع السنة النبوية على إعمار الأرض، وإصلاحها، وزراعتها.

المطلب الثاني: تشجيع السنة النبوية على مبدأ العمل والكسب، ومحاربة البطالة، والكسل.

المطلب الثالث: تشجيع السنة النبوية على البناء، والتشييد، والعمران.

المطلب الرابع: بناء المسجد النبوي كمثال عملي للسنة النبوية في الحث على البناء والعمران.

المبحث الرابع: ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الاجتماعي.

وفيه مطلبان: **الأول**: المطلب الأول: الأسس النبوية لبناء المجتمعات الإسلامية.

المطلب الثاني: المسؤولية الاجتماعية في منظور السنة النبوية، وأثرها في بناء الفرد والمجتمع.

وأما الخاتمة : فتشتمل على أهم نتائج هذا البحث، وأهم التوصيات.

وأخيراً : ذيلت البحث بفهرس المراجع التي رجعت إليها، وفهرس لمحتويات البحث.

الخطوات العملية في البحث :

١- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب الله ﷻ مع بيان اسم السورة، ورقم الآية.

٢- أقوم بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية في الحاشية، فإن كان في الصحيحين، أو أحدهما فهو صحيح، وإن لم يكن في الصحيحين فإني أحكم عليه صحة وضعفًا، وقد أكتفي بنقل كلام الأئمة في الحكم عليه، ولا أتوسع في التخريج إلا لفائدة.

٣- بيان معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في ثنايا البحث.

٤- عند توثيق المصادر، أكتفي بالتوثيق مختصرًا في الحاشية، على أن أوثقها بتمامها في فهرس المصادر.

٥- منهجي في البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ حيث أقوم باستقراء كتب السنة النبوية، واستخراج النصوص التي ترسي دعائم بناء الحضارة، ثم أقوم باستنباط المبادئ، والقيم، والأسس التي تسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

٦- أثناء عزو الأحاديث إلى مصادرها راعيت الاختصار في ذكر المصنفين، وأسماء كتبهم، وذلك كالتالي:

الاختصار	المؤلف وكتابه
البخاري	البخاري في "صحيحه"
مسلم	مسلم في "صحيحه"
أبو داود	أبو داود في "سننه"
الترمذي	الترمذي في "سننه"

النسائي	النسائي في السنن الصغرى "المجتبى"
النسائي في "الكبرى"	النسائي في "سننه الكبرى"
ابن ماجه	ابن ماجه في "سننه"
أحمد	أحمد بن حنبل في "مسنده"
الدارمي	الدارمي في "سننه"
ابن حبان	ابن حبان في "صحيحه" –كما في "الإحسان" لابن بلبان
الحاكم	أبو عبد الله الحاكم في "مستدركه على الصحيحين"
ابن أبي شيبة	ابن أبي شيبة في "مصنفه"
أبو يعلى	أبو يعلى في "مسنده"
الطبراني	الطبراني في "المعجم الكبير"
الطبراني في "الأوسط"	الطبراني في "المعجم الأوسط"

والله أسأل أن يجعل ما سطرته خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الناس أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

مفهوم الحضارة الإنسانية

قبل أن نتكلم عن دور السنة النبوية في الارتقاء بالحضارة الإنسانية يجدر بنا أن نحدد مفهوم الحضارة الإنسانية لنقف على مدى الدور الذي قامت به السنة النبوية لبناء الحضارة الإنسانية.

الحضارة لغة:

مأخوذة من (حَضَرَ)، والْحَاءُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ: إِيرَادُ الشَّيْءِ، وَوُرُودُهُ، وَمُشَاهَدَتُهُ، والْحَضَرُ خِلَافُ الْبَدْوِ. وَيُقَالُ حَاضَرْتُ الرَّجُلَ، إِذَا عَدَوْتَ مَعَهُ.والحَاضِرُ: الْحَيُّ الْعَظِيمُ [1]، والحضَارةُ: الإقامَةُ في الحَضَر، وهؤلاء قومٌ حُضَّارٌ، إذا حَضَروا المياه، ورجلٌ حَضِرٌ: لا يصلح للسفر.[2]

الحضارة اصطلاحاً:

عُرفت الحضارة بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي.[3]

وعرفها ابن خلدون بأنها: أحوال عاديّة زائدة على الضّروريّ من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرَّفَه، وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتًا غير منحصر.[4]

ومما سبق نستنبط أن الحضارة الإنسانية: هي تلك القيم، والمبادئ، والمناهج، والأنظمة التي تبني الإنسان، والمجتمع، وتنظم الحياة، وتُطوّر من الإنتاج العلمي والخُلقي والاجتماعي والاقتصادي، وشتى مجالات الحياة.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٧٥ – ٧٦ باختصار.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ٢/٦٣٢ ، مادة حضر.

(٣) قصة الحضارة – ويليام جيمس ديورَانت – ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ١/٣ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ١/٤٦١ .

فالحضارة تشمل كل تفوق بشري في شتى المجالات ينتج عنه الرقي والتقدم والأمان والاستقرار والازدهار، ويمكن القول بأن الحضارة: نتاج عقل الإنسان في مراحله المزدهرة الراقية المتطورة.

ومما يجدر ذكره أن الحضارة عمل جماعي، لا فردي ، بمعنى أنه لا بد لمجموعة من الناس أن يشيدوه ويرسخوه ويحافظوا على بقائه، واستمراره بالعمل المتواصل، والتفاهم الراقي من كل مؤهل للقيام بدوره في هذه المنظومة، فتتعانق الأفكار، وتتكامل الجهود، وتظهر الاكتشافات والمخترعات، لتنتج عناصر تلك الحضارة وأدواتها وإنجازاتها، الأمر الذي يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

مكونات الحضارة :

تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلُقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.[1]

والسنة النبوية – باعتبارها أحد الوحيين للدين الإسلامي – ترتقي بالحضارة الإنسانية إلى قمة تطورها، وتضيء الطريق نحو اكتمال ازدهارها.

والسبب في ذلك أنها تصوغ الإنسان صياغة شاملة كاملة ربانية؛ فهي تدعو إلى الإيمان والبر والتقوى والعدل والإحسان والصلاح والإصلاح والرشاد وكل ما يسهم في عمارة الأرض، وإصلاح الإنسان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والضلال والفساد والإفساد، وغير ذلك مما يهدم الحضارات، ويفسد الكائنات.

---

(١) قصة الحضارة – ويليام جيمس ديورَانت – ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ٣/١ ، وانظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل١٣٠/١ علي الشحود – المركز الثقافي – الدوحة .

والمتأمل في السنة النبوية يجد أنها تجعل: "أحب الناس إلى الله – تعالى – أنفعهم للناس"[(١)]، فيشمل نفعهم في كل مجالات الخير، وفي النهي عن الشر بينت السنة أن :"من يمسك عن الشر، فإنها له صدقة" [(٢)]، وصرحت أن: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ".[(٣)]

وهذا البحث يلقي الضوء على دور السنة النبوية في الارتقاء بالحضارة الإنسانية على الفرد والمجتمع في الجانب الروحي، والأخلاقي، والعلمي، والاجتماعي، والاقتصادي.

وأسأل الله العون، والتوفيق، والتيسير، والإخلاص، والقبول

بجاه سيدنا الرسول ﷺ.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤٥٣/١٢ رقم ١٣٦٤٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/٦٤ رقم ١٣٠٢٨، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج صـ ٤٧ رقم ٣٦ من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما، وإسناده حسن .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة ١١٥/٢ رقم ١٤٤٥، ومسلم ، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف ٦٩٩/٢ رقم ١٠٠٨، والنسائي، كتاب الزكاة، باب صدقة العبد ٦٤/٥ رقم ٢٥٣٨ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١١/١ رقم ١٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ٦٥/١ رقم ٤٠، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الهجرة ، هل انقطعت؟ ٤/٣ رقم ٢٤٨١، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة المسلم ١٠٥/٨ رقم ٤٩٩٦ من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما .

المبحث الأول

ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الروحي، والأخلاقي

المطلب الأول : ارتقاء السنة بالحضارة في الجانب الروحي:

المتأمل في السنة النبوية يجد أن لها تأثيرًا واضحًا وراقيًا على الإنسان، وحضارته في الجانب الروحي:

ولد سيدنا النبي ﷺ فأشرق النور بولادته مؤذنًا بإتمام بناء حضارة بني الإنسان، والتي شيدها من قبله الأنبياء، والمصلحون، ولم يكد يبلغ سن الشباب حتى اشتهر بين قومه بالصدق، والأمانة، والاستقامة، ومكارم الأخلاق، وتميز بالوعي، والحكمة، والفطنة، والمسؤولية.

وكان من حكمته، وفطنته أنه لم يساير قومه على ما هم فيه من شرك، وضلال، وعبادة للأوثان، وسائر الأخلاق الذميمة التي تأثر بها قومه بحكم الوراثة، والعادات، والتقاليد، والتأثر البيئي.

ترك نبينا ﷺ ذلك كله، وانطلق بعيدًا إلى غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، وفي سن الأربعين نزل عليه أمين الوحي جبريل – عليه السلام – ليبلغه برسالة الله إلى قومه، والناس جميعًا، وتلا عليه آيات من القرآن الكريم يأمرنا فيها ربنا بالقراءة والتعلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (١)(٢)

ومن ذلك الوقت بدأ سيدنا النبي ﷺ في دعوة الناس إلى التوحيد، وإخراجهم من الظلمات

---

(١) سورة العلق ١– ٤ .

(٢) حديث نزول جبريل على النبي ﷺ أخرجه من حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ ١/٧ رقم ٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/١٣٩ رقم ١٦٠ .

إلى النور، ونقلهم من الجهالة إلى الحضارة في كل المجالات بلا استثناء، ويمكن إلقاء الضوء على دور السنة النبوية في الارتقاء بالحضارة الإنسانية في الجانب الروحي من خلال الركائز التالية:

أولًا: تأسيس العقيدة الإسلامية على أساس عبادة الله وحده لا شريك له،وترك عبادة غيره: كالأوثان والكواكب والنجوم وغيرها؛ فعبادة غير الله ليست من الحضارة في شيء، بل هي انحطاط بالإنسان، واستخفاف بعقله.

١- في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس في حديث هرقل الطويل، وفيه سأل هرقل أبا سفيان فقال: " فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ"، وأن هرقل أجابه بقوله:"وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ".(١)

٢- وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:«أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»،قَالَ:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:«أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».(٢)

فالسنة النبوية تنأى بالإنسان عن عبادة غير الله ﷻ؛ فلا يجوز للإنسان أن يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا لله وحده، لا شريك له، ولا شك أن عقيدة التوحيد هي المقوِّم الأساسي من مقومات البناء الحضاري الذي أسَّسه النبي ﷺ ؛ فقد اجتمعت

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ ٨/١ رقم ٧، وكتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ٤٥/٤ رقم ٢٩٤١، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٣/٣ رقم ١٧٧٣ .

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله – تبارك وتعالى ١١٤/٩ رقم ٧٣٧٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان ٥٩/١ رقم ٣٠، والترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٢٦/٥ رقم ٢٦٤٣، والنسائي في الكبرى، كتاب العلم، باب الاختصاص بالعلم قومًا دون قوم ٣٧٨/٥ رقم ٥٨٤٦، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ١٤٣٥/٢ رقم ٤٢٩٦ .

القلوب على الإيمان بحقيقة الإله الواحد الأعظم المهيمن على كل المخلوقات، فاجتمع اهتمام الإنسان، وتوحَّدت قِبْلتُه، وتحدَّدت أفكاره وأهدافه، وهذا هو الأثر البنائي للتوحيد، نقل به ﷺ المجتمع الجاهلي من عالم همجي غوغائي تسودُه الدَّهماء إلى عالَم جديد تبَلْوَرت في ظلِّه معالِمُ شخصية الإنسان.

وليس من شكٍّ أن ترسيخَ هذه العقيدة في أذهان أفراد المجتمع، وإيمانهم المطلق بها، وقناعتهم بحقيقتها – كان الركنَ الركين الذي تأسَّس عليه صرح المجتمع الإسلامي الجديد (مجتمع الرسول ﷺ).

ثانيًا: تطهير القلب، وإصلاح الباطن:

من أولويات السنة النبوية لبناء الفرد والمجتمع حضاريًا أن أمرت الفرد والمجتمع بإصلاح القلب، والذي يعني إخلاص النية، وإصلاح الطَّوِيّة، وتطهير الباطن، وتوجيه الإرادة توجيهًا صحيحًا؛ فإصلاح القلب والباطن كفيل بإصلاح الجسد كله، وتطهير عمل القلب كفيل بتطهير أعمال الجوارح، ومن ثم يكون سعي المسلم في الخير له ولغيره، وهو ما وضحه سيدنا النبي ﷺ بقوله في حديث النعمان بن بشير– رضي الله عنهما: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».[1] ومن هنا نفهم حرص النبي ﷺ على إصلاح هذا الجانب في قلوب أتباعه، وتنميته في وجدانهم.

ثالثًا: تحرير الإنسان من الجهالات، والضلالات:

بعث الله ﷻ رسوله ﷺ على حين فترةٍ من الرسل، في جاهلية جَهْلَاء، لا تعرف من الحق رسمًا، ولا تُقيم به في مقاطع الحقوق حكمًا، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه١/٢٠رقم٥٢، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وأخذ الشبهات٣/١٢١٩ رقم ١٥٩٩،وأبو داود، كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات٣/٢٤٣ رقم ٣٣٢٩، والترمذي، أبواب البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات ٣/٥٠٣ رقم ١٢٠٥، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات ٢ /١٣١٨ رقم ٣٩٨٤.

آباءها، وما استحسنه أسلافها من الآراء المنحرفة، والنِّحَل المخترعة، والمذاهب المبتدعة، فجاءت السنة المحمدية مع رسالة التوحيد برسالة التحرير من الجهالة والانحراف والضلال، فتحررت نفوس أتباعه من الأوهام الباطلة، والعقائد الكاذبة، وصارت العبودية خالصة لله، يتساوى الناس فيها، ويتحررون مما سواها.

١- يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(١)

٢- ويقول النبي ﷺ:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...».(٢)

وبهذا حرر القرآن الكريم، والسنة النبوية الناس من عبودية غير خالقهم البر الرحيم، هاديهم إلى النور، وإلى صراط مستقيم، وصارت التقوى هي ميزان التفاضل بين جميع الناس بلا استثناء.

رابعًا: تعليق قلب الإنسان بالله وحده في كل شيء:

علمنا النبي ﷺ أن النفع والضر بيد الله وحده، وأنه لا واسطة بين العبد وربه، وأن ربه أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه معه حيثما كان، وليس لأحد سلطان على قلبه إلا الله، فلْتتعلقِ القلوب بخالقها ومصرفها.

فها هو النبي ﷺ يعلم غلامًا من صحابته، وهو ابن عمه عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن يسأل الله وحده، وأن يستعين به وحده، وألا يرجو النفع إلا منه، وألا يخاف مما سوى الله، فيقول له: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) أخرجه من حديث أبي نضرة: أحمد – واللفظ له – ٤٧٤/٣٨ رقم ٢٣٤٨٩، والحارث بن أبي أسامة في مسنده – كما في بغية الحارث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي ١٩٣/١ رقم ٥١، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة ٣١٧٢/٦ رقم ٧٣٠٠، وإسناده صحيح.

اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».(١)

وكان الناس قبل الدعوة المحمدية عبيدًا للملوك والزعماء ورجال الدين، عبيدًا للأوهام والخرافات، عبيدًا لملاك الأرض والثروة، فتحرروا بهذه الدعوة المحمدية، تحررت أبدانهم، وأعظم من ذلك أن تحررت نفوسهم بما وهبت لها الدعوة من عقيدة التوحيد وعزته، وأن عملها ليس أثرًا بائدًا، بل مسجلاً خالدًا يجده كل فرد يوم يلقى الله ﷻ.

وبهذا أدرك الإنسان مكانته، ونال حريته في عقله وقلبه وعمله، وبقي للسنة النبوية أثرها الخالد في ذلك كله.

المطلب الثاني : ارتقاء السنة النبوية بالحضارة في الجانب الأخلاقي:

لا يستطيع عاقل منصف أن ينكر فضل السنة النبوية على الإنسان في الجانب الأخلاقي؛ وذلك لأن نصوص السنة النبوية زاخرة بالتعاليم والوصايا التي تدعو إلى التحلي بكل القيم الأخلاقية الحسنة مثل: العلم، والحلم، والأناة، والحكمة، والجود، والكرم، والعفو، والصفح، والرفق، واللين، والصبر، والعزيمة، والثبات، والعدل، والإنصاف، والصدق، والإخلاص، والبر، والوفاء، والإيثار، والرحمة، والتواضع، والتعاون، والزهد، والكيس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، وحفظ السر، والوفاء بالوعد، والورع، واليقين، والتوكل، والتفاؤل، وحسن العشرة، وحسن الجوار، وغيرها من الأخلاق الفاضلة النافعة في بناء الفرد، والحضارة.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة، بابٌ ٦٦٧/٤ رقم ٢٥١٦ وقال: حسن صحيح، وأحمد ٤٠٩/٤ رقم ٢٦٦٩، والحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبد الله بن عباس ٦٢٣/٣ رقم ٦٣٠٣، وأبو يعلى ٤٣٠/٤ رقم ٢٥٥٦، والطبراني في الكبير، ١٢٣/١١ رقم ١١٢٤٣، وإسناده صحيح.

وقد حث النبي ﷺ على اكتساب هذه الأخلاق الحسنة، والتحلي بها؛ فجعل: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) [١] ، وقال: ((إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً))، [٢]، وقال: ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)) [٣] ، وقال: ((أنا زعيمٌ ببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه)). [٤]

من لم يتخلّق بالخلق الحسن فإن الناس ينفرون منه، ولا يحبون مخالطته، وبالتالي لا يكون للناس نافعًا، ولا في بناء مجتمع مشاركًا؛ فالناس لا يقبلون ممن يستطيل عليهم، أو يبدو منه احتقارهم، ولو كان ما يقوله حقاً.

قال ﷻ للنبي الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ﴾. [٥]

إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقياً إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة، والتزام المسلمين بالخلق الحسن، ودعوة الناس إليه، وتطبيق ذلك على أنفسهم قبل الدعوة إليه.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة: أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤/٢٢٠ رقم ٤٦٨٢، والترمذي، كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها ٣/٤٥٨ رقم ١١٦٢، وأحمد ١٢/٣٦٤ رقم ٧٤٠٢، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ ٤/١٨٩ رقم٣٥٥٩، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ ٤/١٨١٠ رقم ٢٣٢١، والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش٤/٣٤٩ رقم ١٩٧٥ من حديث عبد الله بن عمروﷺ .

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق ٤/٣٧٠ رقم ٢٠١٨، وقال: حسن غريب.

(٤) أخرجه: أبو داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ٤/٢٥٣ رقم ٤٨٠٠، والروياني في مسنده ٢/٢٧٩ رقم ١٢٠٠، والطبراني في الكبير ٨/٩٨ رقم ٧٤٨٨، وإسناده حسن، وقوله ﷺ : {أنا زعيم}: أي: كفيل، وضامن (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٠٣ مادة زعم).

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

والخلق الحسن ينير قلب المسلم، ويفتح مداركه، فيتبصَّر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل، والأساليب الصحيحة في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال والأشخاص.

ولم يكتف سيدنا النبي ﷺ بالدعوة إلى مكارم الأخلاق قولًا، بل دعا إلى ذلك بحاله وأفعاله؛ فكانت أحواله، وأفعاله ترجمة لمقاله، حتى مدحه الله ﷻ في كتابه بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.(١)

وقد ربى النبي ﷺ أتباعه على تلك الأخلاق الحسنة، وعمل على بناء شخصياتهم، فزكت أرواحهم، واستقامت أخلاقهم، وشيدوا البناء الحضاري الإسلامي الذي علا على كل الحضارات القديمة، بل والحديثة.

والمقام لا يتسع لبيان كل القيم النبوية الخُلقية، ولهذا سأقتصر على تأثير السنة النبوية في بناء شخصية الفرد أخلاقيًا حتى يكون فعالًا في بناء الحضارة الإنسانية، فأقول – ومن الله أستمد العون والتوفيق:

للسنة النبوية دور مؤثر في تطوير الشخصية الإنسانية؛ حيث شجعت على طلب العلم والبحث عن الحقائق، واهتمت بجميع جوانب الإنسان ماديًا، وعقليًا، وروحيًا، مما يجعلها أساسًا قويًا لبناء شخصية الفرد المسلم.

ومن أهم الجوانب التي اهتمت بها السنة النبوية لبناء شخصية المسلم ما يلي:

أولًا: دعوة الناس إلى إعمال العقل بالتفكر والتأمل، والبحث عن الحقائق:

قدّرت السنة النبوية العقل الذي هو آلة الفهم والإدراك، كما قدّره القرآن الكريم، وأشادا بمنزلته ومكانته باعتباره مناطًا للتكليف، وأداة للبحث عن الحقائق، وأتاحا له التفكير، والتعلم دون خوف من التأنيب أو القهر الفكري.

ففي القرآن الكريم نجد الله ﷻ يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ

(١) سورة القلم الآية ٤.

أَوۡءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ .[1]

والمطالع للسنة النبوية يجد فيها نماذج كثيرة توضح مدى تقديرها العقل، واحترامه، وبيان مكانته، ومن ذلك:

١- تقديم السنة النبوية أصحاب العقول في الصف الأول في الصلاة خلف الإمام:

فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2]، أي: ذوو الألباب والعقول، وفيه تقدير للعقل وأهله.

٢- تحريم السنة النبوية تناولَ كل ما من شأنه أن يضر بالعقل، أو يغيبه: كالخمر، وغيرها من المسكرات، والمخدرات؛ فالعقل للإنسان مناط التكليف، ومظهر التشريف، فعليه أن يحفظ عقله ليسمو به. عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ».[3]

٣- الدعوة إلى عدم التبعية، وذم التقليد:

من الجوانب التي تبين مكانة العقل في السُنة النبوية : ذمّها التقليد، والمقلّدة الذين عطّلوا عقولهم، واتبعوا غيرهم بغير برهان؛ فالمقلد يسير خلف غيره بلا حجّة ولا بيان،

---

(١) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٢) أخرجه مسلم – واللفظ له – كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ٣٢٣/١ رقم ٤٣٢، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف ١٨٠/١ رقم ٦٧٤، والنسائي، كتاب الإمامة، باب من يلي الإمام ثم الذي يليه ٨٧/٢ رقم ٨٠٧، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من يستحب أن يلي الإمام ٣١٢/١ رقم ٩٧٦ .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر١٥٨٧/٣ رقم٢٠٠٣، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر٣٢٧/٣ رقم٣٦٧٩، والترمذي، أبواب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر٢٩٠/٤ رقم١٨٦١، والنسائي، كتاب الأشربة ، باب إثبات اسم الخمر لكل مسكر٢٩٧/٨ رقم٥٥٨٥، وابن ماجه، كتاب الأشربة، باب كل مسكر حرام ١١٢٤/٢ رقم ٣٣٩٠.

ويحاكيه بلا ميزان، وعاقبة التقليد: الحجر على العقول وجمود التفكير، وهذا يضعف شخصية الإنسان، ويقتل فيه مهارة التفكير، لهذا نهت عنه السُّنة النبوية.

فعن أَبي سعيدٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»(١)، والمراد: اتباعهم في المخالفات والمعاصي.(٢)

ثانيًا: الدعوة إلى التفاؤل، والإيجابية:

تؤكد السنة النبوية على أهمية التفاؤل والإيجابية في بناء شخصية الإنسان، لمواجهة التحديات والصعوبات، وبناء الحضارة، وعمارة الأرض.

والمقصود بالتفاؤل: الإيمان بالنتائج، وتوقعها حتى في أصعب المواقف، والأزمات، والتحديات.(٣)

فالشخص المتفائل يؤمن بقدراته، ويتصرف بحكمة وهدوء وذكاء أمام الصعاب والمشكلات، ويتسم سلوكه بالإيجابية، والتفاؤل يضاعف جهد الإنسان، وقوته على التحمل والتأثير والإنتاج أكثر من غيره، فلا عجب أن يدعو النبي ﷺ إلى التفاؤل، والرجاء، وحسن الظن حتى في أشد المواقف، وينهى عن التشاؤم والتطير.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ».(٤)

قال الحافظ ابن حجر:(قال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٦٩/٤ رقم ٣٤٥٦، ومسلم ، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٢٠٥٤/٤ رقم ٢٦٦٩ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ٢٦١/٥ .

(٣) قوة التفكير الإيجابي في الأعمال، سكوت دبليو صـ ١٠١ ، الطبعة العربية الأولى ١٤٢٤هـ – مكتبة العبيكان – الرياض.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الفأل١٣٥/٧ رقم٥٧٥٥،ومسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل١٧٤٥/٤ رقم٢٢٢٣.

بالله – تعالى – بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله – تعالى – على كل حال)أهـ.[1]

والمتأمل في حياة النبي ﷺ يجد أنه يبث روح التفاؤل، وحسن الظن فيمن حوله؛ ليعيش المسلم حياته في ثقة وشجاعة وثبات ويقين، وليصنع مجده وحضارته حتى في أوقات اشتداد الأزمات، وكثرة التحديات، فإذا به يواجه التحديات، ويتخطى الأزمات.

انظر إليه ﷺ وهو في غار ثور، ومعه الصديق ﷺ الذي احتبست أنفاسه، وطار فؤاده، وهو يرى أقدام المشركين خارج باب الغار، ويقول في حوار هامس للحبيب المصطفى ﷺ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، فيجيبه النبي ﷺ بلغة يحدوها الأمل، وبقلب يملؤه اليقين : « يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا »[2]، { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }.[3]

فلو سار مع كل قريش كل الأحياء، وانشقت القبور، فخرج الموتى يسحبون أكفانهم خلف أبي جهل ، يقلبون معه حجارة الأرض، وينقبون في الجبال، ويحفرون في الرمال، ما قدروا أبدًا على اثنين الله ثالثهما.

وأما الإيجابية: فهي تبَنِّي الأسلوب الأمثل في حل المشكلات، وذلك بإتقان التركيز على الإيجابيات في كل موقف، بدلًا من السلبيات.

وقد دعت السنة النبوية إلى تطبيق هذا الأسلوب الرائع في الحياة، والذي ينتج عنه أن يفكر المسلم في البناء، والعطاء، والإفادة في كل موقف، والاستفادة من كل شيء تحت

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢١٥/١٠ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] ٦٦/٦ رقم ٤٦٦٣ ، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ١٨٥٤/٤ رقم ٢٣٨١ ، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة ٢٧٨/٥ رقم ٣٠٩٦ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٤٠ .

أي ظرف، وذلك ببيان أن أمر المؤمن كله خير في جميع أحواله.

ففي الحديث الصحيح المشهور يقول النبي ﷺ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».(١)

ففي هذا الحديث يرشدنا المصطفى ﷺ أن على المؤمن العالم بالله الراضي بأحكامه المصدق بوعده أن يفعل الخير في كل حالاته، فإن كان في نعمة فمقتضاها الشكر عليها، والعمل بها، وذلك خير له، فحصل على نعيم الدنيا والآخرة ، وإن كان في بلاء فمقتضاه الصبر عليه والاحتساب، فحصل على خير الدنيا والآخرة وراحتهما، وبذلك يحوز المؤمن الخير في كل الحالات؛ لأنه يعيش في حياته بمبدأ أن: (كل قضاء الله للمسلم خير).(٢)

وإذا عاش المسلم بهذا المبدأ، فإن تفكيره وسلوكه يتسمان بنظرة شمولية وعقلية إيجابية مستقبلية تسمو بصاحبها وتعينه على بناء حضارته كما أمره ربه ﷻ، ورسوله ﷺ، دون أن يتأثر سلبيًا بأي حدث أو موقف محيط به.

وخلاصة القول: أن السنة النبوية عملت على تهيئة الأسباب التي تبني شخصية الفرد المسلم، وتطوره روحيًا وماديًا، ليقوم بدوره في المجتمع، وليكون لبنة في بناء الحضارة، وليؤكد للعالم أجمع أن السنة النبوية من أهم مصادر التربية، وتطبيقها ينمي مهارات التفكير، ويخرّج العظماء، ولا يمكن للبشرية أن تستقيم من دونها.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير٤/٢٢٩٥ رقم ٢٩٩٩، وأحمد ٣١/٢٦٤ رقم ١٨٩٣٤ من حديث صهيب الخير ﷺ .

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/١٠٩، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي ٢٦/٤٣٧ .

المبحث الثاني

ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب العلمي والثقافي

تمهيد

لا شك أن حضارة الإنسان تبنى على العلم؛ فالعلم أساس كل الحضارات، وركنها الأقوى، وشرط نهضتها وقيامها، ولا تقوم حضارة وتزدهر إلا بالعلم، وتكمن أهمية العلم في إنارة العقل البشري، وتوسيع مداركه، وزيادة قدرته على المعرفة والاستيعاب والتحليل والنظر في شتى القضايا من عدة زوايا، الأمر الذي يؤدي إلى هداية الإنسان لطريق الخير، والصواب، كما يُسهم العلم في تفسير الظواهر ومحاربة الجهل، وخدمة الإنسان، وتيسير الحياة، وحماية المجتمع من الإشاعات والأكاذيب، والحد من مشكلات، وجرائم كثيرة، فيتمتع المجتمع بالأمن، ويتحسن مستواه الأخلاقي، والثقافي قبل المعيشي، والعلم يبني مجتمعات قوية متماسكة ذات قدرة عظيمة على التكيف مع متطلبات الحياة كافة، كما يربي الأجيال على الوعي والثقافة، وحب الخير والحق، بحيث تصير لديهم القدرة على مواصلة السير قُدُمًا بما يفي بمتطلبات الفرد والمجتمع، ويحفظ حضارتهم ومجدهم.

والتاريخ والحاضر يشهدان للعلم في كل العصور والدهور؛ فما قامت حضارة إلا بالعلم، وما تقدم الغرب، والشرق على أمة الإسلام في زماننا إلا بسلوك سبيل العلم.

وليس المقصودُ بالعلمِ هنا العلمَ الشرعي الديني فقط، وإنما كلُّ علمٍ نافعٍ يسهمُ في التقدمِ الحضاري، والإثراءِ المعرفي، والوفاء بمتطلبات المجتمع، سواء كان من العلوم الدينية، أو المادية التجريبية كالطب، والهندسة، أو الإنسانية، والاجتماعية، واكتساب هذه العلوم من الفروض الكفائية التي تُطالَب بها الأمة في مجموعها.

فبالعلم نصنع ما نلبس، ونزرع ما نأكل، وننتج علاجنا ودواءنا، كذلك به نصنع سلاحنا الذي نقاتل به عدونا، وندافع به عن أنفسنا، وأعراضنا، وبلادنا.

وقد حثت السنة النبوية على ذلك كله في نصوص كثيرة يضيق المقام عن ذكرها كلها،

ونكتفي بذكر بعضها، ويمكن تلخيص دور السنة النبوية في الجانب العلمي والثقافي في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تشجيع السُّنة على تعلم العلم النافع، وبيان أهميته، وقيمته في حياة المسلم، والمجتمع:

حثت السنة النبوية على البحث العلمي، ومعرفة الحقائق، وتعلم كل علم نافع، وذلك من خلال ما يلي:

١- تأكيد السنة النبوية على أن تعلم العلم فريضة على كل مسلم:

تؤكد السّنة أن التعليم حقٌ، بل فرضٌ على الجميع، ولا يجوز حرمان أحد منه بغض النظر عن الجنس والعرق. فعن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: عن النبي ﷺ أنه قال: ((طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ)). (١)

والمراد: أن كل ما تعين على كل مسلم معرفته وجب عليه أن يسلك السبيل إلى ذلك، وإلا كان آثمًا.

ومن ذلك: كل ما يهمه من أحكام دينه التي ترشده إلى كيفية علاقته بربه، ومن حوله من الناس.

ومن ذلك أيضًا: ما وجب عليه معرفته في تخصصه الذي أقامه الله فيه؛ فإذا طولبت الأمة في مجموعها بتعلم كل علم نافع، فعلى كل فرد، أو جماعة من الأمة أن يتقنوا علمًا من هذه العلوم التي لا بد للأمة من تعلمها.قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (٢)

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم ٨١/١ رقم ٢٢٤، وأبو يعلى الموصلي ٢٢٣/٥ رقم ٢٨٣٧، والطبراني في الأوسط ٧/١ رقم ٩ ، وحسنه المزي، والسيوطي.(تدريب الراوي ١٦٢/١، ٦٢٢/٢).

(٢) سورة التوبة آية ١٢٢ .

وقد طبق علماء الأمة هذا الأمر، فتنوعت تخصصاتهم في العلوم الدينية، والدنيوية على حد سواء، فالدين ليس مقصوراً على المسجد للصلاة فقط، وإنما هو منهج حياة متكامل، ومن تعاليم الدين طلب العلوم الدنيوية التي تنفع الفرد، والأمة، والبشرية جمعاء، ومن نوى ذلك بعلمه، واحتسبه فهو مأجور.

٢- إعلان السنة النبوية أن طالب العلم بمنزلة المجاهد في سبيل الله:

قال النبي ﷺ:«مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».(١)

٣- بيان السنة النبوية أن فهم الدين من علامات توفيق الله للإنسان:

فعن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:((مَن يُرد الله به خيرًا يفقِّهْهُ في الدين)). (٢)

دل هذا الحديث على فضل العلم وأهله، وأن تفقه العبد في دينه من علامات إرادة الله تعالى الخير به؛ إذ بتفقُّهه في دينه يصلح عمله، ويرشد غيره إلى الخير، فيكون له مثل ثواب مَن أرشده.

ويؤيد هذا قوله - تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (٣)، فالحكمة عطاءٌ ووهبٌ من الله - تعالى.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨٢/١ رقم ٢٢٧ ، وأحمد ٢٤٥/١٥ رقم ٩٤١٩، وابن أبي شيبة ١٤٨/٢ رقم ٧٥١٧ ، وأبو يعلى ٣٥٩/١١ رقم ٦٤٧٢ عن أبي هريرة ﷺ، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه: البخاري ، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ٢٥/١ رقم ٧١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ٧١٩/٢ رقم ١٠٣٧ ، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨٠/١ رقم ٢٢١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

٤- طلب العلم طريقٌ يؤدي إلى الجنة، وبيان فضل العالم على العابد، وأن العلماء ورثة الأنبياء:

فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».[1] فما هذا التشجيع من السُّنة على العلم؟ ومن ذا الذي يصل إلى مقام العلماء، وقد ورثوا الأنبياء، ويستغفر لهم من في الأرض، والسماء؟، فلْتهتمَّ الأمة بالعلم، والعلماء إذا أرادت الفلاح والبناء، ورضا رب الأرض والسماء.

تَعَلّمْ ، لتحيا * تنلْ حظاً من النبوة *** فالله قال ليحيى: * "خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ".[2]

وفي الحديث السابق ترغيبٌ في تعلم العلم، حتى ولو سافر الإنسان إليه، وتخطى حدود البلاد، والثقافات.

٥- تعلُّم القرآن، وتعليمه يجعل المسلم من خيرة الناس:

فعن عثمان بن عفان ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه)).[3]

---

(١) أخرجه: مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤/٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩ مختصرًا بذكر أول جملة في الحديث من حديث أبي هريرة، وأخرجه بكامله من حديث أبي الدرداء: أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣/٣١٧ رقم ٣٦٤١، والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/٤٨ رقم ٢٦٨٢، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨١ رقم ٢٢٣، وأحمد ٣٦/٤٥ رقم ٢١٧١٥، والدارمي، في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم ١/٣٦١ رقم ٣٥٤ .

(٢) سورة مريم من الآية ١٢ .

(٣) أخرجه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٦/١٩٢ رقم ٥٠٢٧، وأبو داود، باب تفريع أبواب الوتر ٢/٧٠ رقم ١٤٥٢، والترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن ٥/١٧٣ رقم ٢٩٠٧، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨١ رقم ٢٢٣.

ولا شك أن القرآن الكريم قد حوى كل الأسس، والمبادئ، والقيم التي تبني الإنسان، وتشيد حضارته.

٦- حرص النبي ﷺ على أن يتعلم المسلمون اللغات الأجنبية التي يحتاجونها:

فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ".(١)

وهذا يدل على دعوة السّنة إلى الاستفادة من كافة الثقافات، والحضارات بما ينفع الأمة، ويبني مجدها.

٧- تذكير السنة النبوية أن الإنسان سيُسأل عن علمه يوم القيامة:

فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ».(٢)

٨- بيان السُّنة أن من ترك علمًا يُنتفَع به، فلا ينقطع ثوابه بموته، بل يناله ثواب علمه حتى بعد موته:

فعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ".(٣)

---

(١) أخرجه: أبو داود – واللفظ له – كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ٣١٨/٣ رقم ٣٦٤٥، والترمذي، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية ٦٧/٥ رقم ٢٧١٥، وقال: حسن صحيح، وأحمد ٤٩٠/٣٥ رقم ٢١٦١٨، ٢١٦١٩ .

(٢) أخرجه: الترمذي – واللفظ له – أبواب صفة القيامة، باب في القيامة ٦١٢/٤ رقم ٢٤١٧، وقال: حسن صحيح، والدارمي في المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة٤٥٢/١ رقم٥٥٤، وأبو يعلى٤٢٨/١٣ رقم٧٤٣٤، والطبراني في الأوسط٣٤٨/٢رقم٢١٩١.

(٣) أخرجه: مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣ رقم ١٦٣١، أبو داود كتاب الصيد، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ١١٧/٣ رقم ٢٨٨٠، والترمذي– واللفظ له – أبواب الأحكام، باب في الوقف ٦٥٢/٣ رقم ١٣٧٦، وقال: حسن صحيح، والنسائي، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت ٢٥١/٦ رقم ٣٦٥١ .

المطلب الثاني: تحذير السنة النبوية من تعلم العلوم التي تضر الفرد، وتهدم المجتمع:

ورد في السنة النبوية أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من علم لا ينفع:

فعن زيد بن أرقم ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «...اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».(١)

بينت السنة أن العلم ينقسم إلى نافع، وغير نافع(٢)، وأمرت بطلب الأول، ونهت عن طلب الثاني، والعلم الذي لا ينفع: هو ما لا يصحبه عمل، أو ما لم يؤذن في تعلمه شرعًا، أو ما لا يهذب الأخلاق.(٣)

ويمكن تقسيم العلم الذي لا ينفع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم هو في الأصل نافع، لكن صاحبه لا ينتفع به لنفسه:

فالعلم الذي لا يهذب الأخلاق الباطنة، فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة، فيفوز بها إلى الثواب الآجل هو علم لا ينفع صاحبه(٤)، وأما العلم النافع لصاحبه فهو الذي يعمل به خالصاً لوجه الله الكريم؛ فروح العلم العمل به:

أ- قال الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ (٥)

---

(١) أخرجه: مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِ ما عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ ما لَمْ يُعْمَلْ ٤/٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢، والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز ٨/٢٦٠ رقم ٥٤٥٨، وأحمد ٣٢/٦١ رقم ١٩٣٠٨.

(٢) ينظر:إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي١/٢٩،بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي صـ٢٢.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ١/٢٠٧ .

(٤) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه لنور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ١/١١٠ .

(٥) سورة الصف آية ١- ٣ .

ب- وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ".(١)

ت- فإذا لم يقرب العلم صاحبه من الله ﷻ فلا قيمة له ، وإن لم يورث صاحبه الخشية من الله فلا خير فيه، بل إنه يكون خطراً ووبالاً على صاحبه – والعياذ بالله – ولا يُرجى منه بناء لمجتمع، ولا دور في حضارة، وقد فشل في بناء نفسه.

القسم الثاني: علم هو في الأصل نافع، لكن صاحبه لا ينفع غيره به، وهو ما يسمى بكتمان العلم:

من رزقه اللَّه علمًا لا ينبغي أن يبخل به عن تعليم الناس ونَفْعِهم، بل يجب عليه أن يعمل على نشره قدر استطاعته، حتى يستفيد الناس من علمه، وقد حث الرسول ﷺ على نشر العلم، وحذر من كتمانه.

فأما الأمر بنشر العلم وتبليغه ففي أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها آنفًا، بل إنه ﷺ حث على تبليغ العلم ولو قليلًا، فقال – كما في الحديث الصحيح المشهور: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ».(٢)

وأما التحذير من كتمان العلم: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة ١٢١/٤ رقم ٣٢٦٧، ومسلم – واللفظ له – كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله ٢٢٩٠/٤ رقم ٢٩٨٩.

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٧٠/٤ رقم ٣٤٦١، والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ٤٠/٥ رقم ٢٦٦٩ من حديث عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما.

عَنْ عِلْمٍ، ثُمَّ كَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».[١]

ويفهم من هذا الحديث أن كتمان العلم محرم؛ لأَن الوعيد لا يقع إلا على ترك واجبٍ أو فعل محرمٍ، لا سيما إذا دعت الحاجة إلى علمه، ووقع السؤال عنه، فمن فعل هذا فإنه جزاءه من جنس عمله، وهو أن يُدْخَل في فمه لِجَامٌ من نَارٍ يوم القيامة جزاءً له على كتمانه، ويستثنى من هذا الوعِيد ما إذا كان السَّائل ليس أهلًا للإجابة، أو كان العلم غير ضروريّ.

القسم الثالث: علم هو في الأصل ضار لمن تعلمه، بل وللبشرية جمعاء:

وهذا كعلم السحر، وعلم تأثير النجوم، وغيرهما من العلوم المضرة في الدين، أو الدنيا.[٢]

١- قال الله ﷻ عن السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ﴾.[٣]

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[٤]، ولهذا، فإن الجمهور على أن تعلّم السحر، وتعليمه حرام.[٥]

---

(١) أخرجه: أبو داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم ٣٢١/٣ رقم ٣٦٥٨، والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم ٢٩/٥ رقم ٢٦٤٩، واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن ماجه، في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه ٩٦/١ رقم ٢٦١.

(٢) ينظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي صـ ٣٥ - ٣٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٣ .

(٤) أخرجه: البخاري، كتاب الوصايا، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠] ١٠/٤ رقم ٢٧٦٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ٩٢/١ رقم ٨٩، وأبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ١١٥/٣ رقم ٢٨٧٤، والنسائي، كتاب الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم ٢٥٧/٦ رقم ٣٦٧١ .

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٧٦/١٤ ، المغني لابن قدامة ٢٩/٩ ، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤٣٣/٤ .

وأما النهي عن تعلم علم تأثير النجوم، فقد ورد النهي عنه في حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَن اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ ».(١)

فكلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم. (٢)

ومن هنا نفهم أن السنة النبوية دعت إلى العلم الذي يبني الفرد، والمجتمع، ويعين على تشييد الحضارات، وازدهار المجتمعات، وحذرت من كل علم يستغل للإيذاء، والهدم، وإحداث الفوضى، وانعدام الأمن، بل إن السنة النبوية تحذر من عقوبة النية الفاسدة في التعلم؛ إذ لا بد من نية سليمة صحيحة قبل تعلم أي علم.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، يَعْنِي رِيحَهَا.(٣)

المطلب الثالث: السنة النبوية، وعلم التقنية الحديثة (التكنولوجيا):

تبيّن من المطلبين السابقين أن السنة النبوية دعت إلى تعلم كل علمٍ نافعٍ يسهمُ في التقدمِ الحضاري، والإثراءِ المعرفي، والوفاء بمتطلبات المجتمع، سواء كان علمًا شرعيًا، أو ماديًا تجريبيًا، أو إنسانيًا، أو اجتماعيًا، وأن تعلم هذه العلوم من فروض الكفاية التي

---

(١) أخرجه: أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم ١٥/٤ رقم ٣٩٠٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم ١٢٢٨/٢ رقم ٣٧٢٦، وأحمد ٤١/٥ رقم ٢٨٤٠ ، وصححه النووي كما في الفتاوى له صـ ٢٣٢ ، والعراقي في تخريج الإحياء صـ ١٤٦٠ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ٨٠/٦ .

(٣) أخرجه: أبو داود – واللفظ له – كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى ٣٢٣/٣ رقم ٣٦٦٤، وابن ماجه، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ٩٢/١ رقم ٢٥٢، وأحمد ١٦٩/١٤ رقم ٨٤٥٧ ، وابن حبان ، كتاب العلم، باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها ٢٧٩/١ رقم ٧٨ ، وصححه، كما صححه الشيخ/ أحمد شاكر.

تطالب بها الأمة في مجموعها.

والكلام نفسه ينطبق على التقنية الحديثة التي تسمى (التكنولوجيا)، والتي صارت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، وأحدثت تغييرات جذرية في كل شيء، فعملت على تسهيل الحياة اليومية، وسرعة الوصول إلى المعلومات والحقائق، وسهولة نشرها ... إلى غير ذلك مما هو ملموس في حياتنا.

فليست هناك مصادمة بين تعاليم السنة النبوية المطهرة، والتقنية الحديثة طالما كان تعلم هذه التقنية، واستخدامها في نطاق العلم النافع الذي يفيد البشرية في الدين أو الدنيا.

والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد العديد من النصوص ذات الطبيعة، والدلالة العلمية البحتة، ومن ثم فهي تشير – ولو من طرف خفي – إلى تشجيع الدين على العلم، والتكنولوجيا، **أذكر بعضها كأمثلة:**

١- وذلك مثل الآيات التي تحدثت عن تسخير الريح لنبي الله سليمان بن داوود – عليهما السلام – قال – تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[1]، فهذا الأمر ينطبق على عالم الطيران اليوم؛ حيث علم الله الإنسان أن يسخر الريح في صورة طائرات نفاثة سريعة.

٢- وفي السنة النبوية يخبرنا النبي ﷺ أنه في المستقبل سوف يستغني الناس عن استعمال الإبل في التنقل وحمل الأشياء، ومقتضاه أن التنقل والحمل سيكونان يومها بشكل آخر، وهو وسائل المواصلات الحديثة حاليًا.

فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:«... وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ[2]، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا

(١) سورة سبأ من الآية ١٢ .

(٢) القِلَاصُ: جمع قَلُوص، وهي النَّاقَةُ الشابَّة. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/١٠٠ مادة: قلص).

...».[1]

فقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهذا منذ مئات السنين، وتحقق بالفعل في زماننا.

٣- وفي الحديث الآخر وردت نبوءة عن الأحذية المتكلمة (التي تحتوي على هواتف بداخلها):

فعن حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهُ ».[2]

(حَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ): الْعَذَبَةُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ: طَرَفُهُ، وقيل: هُوَ قَدٌّ فِي طَرَفِ السَّوْطِ،(وَشِرَاكُ نَعْلِهِ) بِكَسْرِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ: أَحَدُ سُيُورِ النَّعْلِ تَكُونُ عَلَى وَجْهِهَا. [3]

ولا ريب أن القرآن والسنة قد وفرا بيئة علمية، وفكرية تعين على الإسهام في الارتقاء بالحضارة الإنسانية، وكان لهما أعظم الأثر في جهود علماء المسلمين الذين شاركوا بعلومهم في بناء حضارة الإسلام، فاستطاعوا أن يسهموا في تطوير مجالات الحياة المختلفة بإبداعهم في شتى العلوم، بما فيها العلوم الفيزيائية، والطبيعية.

وإليك نماذج من علماء الإسلام الذين برعوا في هذه العلوم، وساهموا في بناء الحضارة الإنسانية:

---

(١) أخرجه: مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم ... ١٣٦/١ رقم ١٥٥، وأحمد ٢٥٤/١٦ رقم ١٠٤٠٤ .

(٢) أخرجه: الترمذي – واللفظ له – أبواب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع ٤٧٦/٤ رقم ٢١٨١، وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد ٣١٥/١٨ رقم١١٧٩٢، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم ٥١٤/٤ رقم٨٤٤٢، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) ينظر: الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي ٢٧٩/١ ، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٤٠/٦ .

١- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٦٥-٩٢٥م) طبيب وكيميائي، ألف ١٢ كتابًا، منها كتاب الأسرار في الكيمياء، والحاوي كتاب موسوعي عن الطب، وشرح مراحل القمر المختلفة من خلال الرسوم البيانية.

٢- أبو ريحان البيروني (٩٧٣-١٠٤٨م): مؤرخ ولغوي، وبرع في الفيزياء، والرياضيات، والفلك، والطبيعة.

٣- ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م): الطبيب الكبير، والفيلسوف الشهير، مؤلف كتاب القانون في الطب.

٤- محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨٠-٨٥٠م): أبو الجبر، عالم فلك، ورياضيات، طوّر من الجداول الفلكية.

٥- جابر بن حيان (٧٢١-٨١٥م): والد الكيمياء، ومؤسس مبادئ التجارب، والدراسات العلمية.

٦- الحسن بن الهيثم (٩٦٠-١٠٣٨م): عالم رياضيات، وفلك، وفيزيائي عربي، يُطلق عليه "أبو البصريات الحديثة"، وقد قدم مساهمات كبيرة في مبادئ البصريات، والإدراك البصري.

٧- أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦-١٠١٣ م): طبيب بارع، ومؤسس جراحة العصر الحديث، ألف كتاب " التعاريف" ناقش فيه عملية الجراحة بالتفصيل، ونكتفي بما ذكرنا؛ فالقائمة طويلة جدًا.

وخلاصة القول: أن الإسلام لم يكن أبدًا ضد العلم والتكنولوجيا، بل إنه يشجع على المشاركة بفعالية في كل العلوم والفنون، وله دور رائد في بناء الحضارة من خلال المساهمة في مجالات العلوم سبق به الغرب الذين كانوا غارقين في جهالات العصور الوسطى، وهذا الدور التاريخي الحضاري يجب أن يكون نبراسًا يضيء الطريق لأجيال الأمة في زماننا، ولبِناتٍ يستكمل شبابنا بناءها كورثة للتاريخ الذهبي للمسلمين في كل العلوم والفنون، حتى نستعيد مجدنا، وكرامتنا، ومكانتنا المفقودة بين الأمم.

المبحث الثالث

ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب العمراني والاقتصادي

العِمارَةُ لغة: ما يُعْمَرُ به المكانُ[١]، والعُمْران: ما يُعْمَر به البلدُ من تجارة وصناعةٍ وبناء وتمدُّن، وعلم العمران: علم الاستيطان البشريّ، ويشمل تخطيط وتصميم مدينة، أو مجتمع.[٢]

العِمارة الإسلامية شرعًا: هي الجهود التي بذلها المسلمون في البناء، والتشييد، وإعمار الأرض، وإصلاحها، وما لها من مميزات وخصائص إسلامية، بحيث تصير هوية للمسلمين،وشعارًا لهم فيما وصلوا إليه من بقاع الأرض.

ومن ذلك: بناء المساجد، والمآذن، ومقرات الخليفة، ودور الولاة، والقضاء، والقصور، وبيوت المسلمين في كل بلد دخلوه، والمنشآت المعمارية الأخرى، واستصلاح الأرض البور، وزراعتها.

ولا ريب أن عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، وإصلاحها، واستثمار خيراتها النافعة في تحقيق مراد الله تعالى، مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية المنصوص عليها في القرآن الكريم، والسنة النبوية قولًا وعملًا.

أ- قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [٣]، والاستعمار: طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى يدل على الوجوب، فالآية تؤكد وجوب عمارة الأرض. [٤]

ب- وقد أولت السنة النبوية اهتمامًا كبيرًا بعنصر الفرد البشري، وجعلته أهم أركان البناء والتعمير؛ فبصلاحه يصلح العالم، وتنتظم شؤونه، وبه يُحفظ نظام الأمة، ويدوم صلاحها

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي صـ ٢٤٥ .

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد ١٥٥٢/٢، مادة: عمر.

(٣) سورة هود آية ٦١ .

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي المالكي ١٨/٣ .

بصلاح المهيمن عليها، وهو الإنسان).[1] **ولهذا شجعت السنة النبوية على ذلك كله في نصوص كثيرة، يمكن إبرازها فيما يلي:**

المطلب الأول: تشجيع السّنة على إعمار الأرض، وإصلاحها، وزراعتها، وأثر ذلك على الفرد، والمجتمع، وبناء الحضارة

حث النبي ﷺ على إعمار الأرض، وإصلاحها، وزراعتها بالعديد من الأحاديث، لا سيما في زمان تصحر الأرض وتآكلها، وذلك من خلال ربط إعمار الأرض بثواب الدنيا، وثواب الآخرة:

١- فمن الأول: حديث السيدة عائشةَ - رضيَ الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»، قَالَ عُرْوَةُ: «قَضَى بِهِ عُمَرُ ﷺ فِي خِلَافَتِهِ».[2] فتأمل كيف أعطاه النبي ﷺ حق تملك ما أعمره من أرض ببناء، أو زراعة، ما لم تكن ملكًا لغيره.

٢- ومن الثاني: ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».[3] وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ».[4]، والعافية: كلُّ طَالِبِ رزْقٍ مِنْ

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٢٢/٢ .

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضًا مواتًا ١٠٦/٣ رقم ٢٣٣٥، والنسائي في الكبرى، كتاب إحياء الموات، باب من أحيا أرضًا ميتة ليست لأحد ٣٢٤/٥ رقم ٥٧٢٧، وأحمد ٣٧٥/٤١ رقم ٢٤٨٨٣ .

(٣) أخرجه: البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكِل منه ١٠٣/٣ رقم ٢٣٢٠، ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع ١١٨٩/٣ رقم ١٥٥٣، والترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في فضل الغرس ٦٥٨/٣ رقم ١٣٨٢.

(٤) أخرجه: النسائي في الكبرى، كتاب إحياء الموات، باب الحث على إحياء الموات ٣٢٣/٥ رقم ٥٧٢٤، وأحمد – واللفظ له – ٣٨٢/٢٢ رقم ١٤٥٠٠، والدارمي، كتاب البيوع، باب من أحيا أرضًا ميتة فهي له ١٧٠٠/٣ رقم ٢٦٤٩، وابن حبان، كتاب إحياء الموات، ذكر كتبة الله - جل وعلا - الأجر لمحيي الموات من الأرض ٦١٣/١١ رقم ٥٢٠٢ .

إنسانٍ، أَوْ بَهِيمةٍ، أَوْ طائرٍ.[١]

٣- ويزداد المسلم تشبثًا بإصلاح الأرض، وإعمارها حينما يطبق هذا النص النبوي الذي يدعو إلى إعمار الأرض، ولو في آخر الدنيا حيث قال ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ[٢]، فَلْيَغْرِسْهَا».[٣]

فانظر كيف يحث على غرس النخل حتى آخر لحظة من الدنيا، فهي دعوة منه ﷺ إلى عدم توقف الغرس، والسعي، والإنتاج، وتعمير الأرض، والبناء الحضاري حتى آخر اللحظات.

وفي هذا الحديث - كما قال المناوي: "مبالغة في الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجئ بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة، وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا".أهـ[٤]

فالمسلمون بتطبيق هذه الأحاديث لهم دور لا ينكر في إعمار الأرض، وغرس النخيل والأشجار، وإنتاج الزروع والثمار، واستثمار الخيرات، وهي مسيرة حضارية بدأت من أولى لحظات الوعي البشري، وحتى آخر ساعة في هذا الوجود؛ وذلك لإبقاء العمران في الأرض التي استخلفنا الله فيها.

وقد جعلت السنة النبوية الأجر على إحياء الأرض، وإعمارها؛ لما فيه من الأخذ بأسباب الإبقاء على الحياة في الأرض، واستدامة الخيرات والمنافع، وتنمية المهارات الفردية، والجماعية فيما يعود نفعه على سكان الأرض من بشر، وطير، وبهيمة، فهي

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٦٦/٣ مادة عفا .

(٢) الفَسِيلَةُ: النَّخلة الصَغيرة. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ٢٢٨/٥ .

(٣) أخرجه: أحمد ٢٥١/٢٠ رقم ١٢٩٠٢، وأبو داود الطيالسي في مسنده ٥٤٥/٣ رقم ٢١٨١، والبخاري في الأدب المفرد صـ ١٦٨ رقم ٤٧٩ عن أنس بن مالك ﷺ ، وإسناده صحيح.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ٣٠/٣ .

حضارة بناء وإعمار لكل ما في كوكب الأرض، وليس للبشر فحسب.

فإحياء الأرض من أهم مقومات الحياة، ومن أدوات بناء الحضارة، وهو-أيضًا- من الحلول التي قدمتها السُّنة لتخفيف الأعباء الاقتصادية التي نعاني منها اليوم من خلال تركز تجمعات في مدن مكتظة تعيش معاناة زيادة الطلب على الخدمات، وأزمة نقص الغذاء، والاختناقات العمرانية في مساحات صغيرة، بينما تفتح السُّنة آفاق العمران، وحل نقص الغذاء من خلال بعث الحياة في موات الأرض، واستصلاح الأرض، وزراعتها، الأمر الذي يعود بالنفع، والازدهار، والتوازن الوجودي في أرجاء الأرض بإعمارها، واستخراج خيراتها، وأقواتها المقدرة فيها.

المطلب الثاني: تشجيع السنة النبوية على مبدأ العمل والكسب، ومحاربة البطالة، والكسل:

لا يخفى على كل من درس السنة النبوية تشجيعها على السعي والعمل والكسب، وإعلاؤها من شأن اليد العاملة، وخفضها من شأن اليد الممتدة لطلب العطاء المجاني، دون سعي أو عمل.

١- فعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».(١)

وفي هذا النص النبوي حثٌ على العمل باليد ببيان أنه أفضل الكسب؛ لما فيه من نفع يعم العامل، والمجتمع.

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ».(٢)

---

(١) أخرجه: البخاري- واللفظ له- كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣ رقم ٢٠٧٢، وأحمد ٤١٨/٢٨ رقم ١٧١٨١.

(٢) أخرجه: البخاري – واللفظ له – كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣ رقم ٢٠٧٤ ، ومسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس ٧٢١/٢ رقم ١٠٤٢، والترمذي، أبواب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة ٥٥/٣ رقم ٦٨٠، والنسائي، كتاب الزكاة، باب المسألة ٩٣/٥ رقم ٢٥٨٤ .

فالعمل يربي الفعالية، والنشاط، ويحارب البطالة، والتواكل، ويُعِفّ عن ذل السؤال، والاحتياج إلى الغير، ويرفع من حالة التخلف، والتبعية، والضعف الاقتصادي الذي يؤثر سلبًا على الفرد، والأمة في كل المجالات.

٣- وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال:" اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى: هِيَ السَّائِلَةُ ".(١)

وغيرها من الأحاديث المؤكدة لهذا المعنى؛ إذ لا يمكن لأمة خاملة أن تنتج حضارة، أو تبني مجداً، وهي لا تهتم العمل، ولا تكترث بالسعي، والتقدم، والتطور، أو توكل غيرها في القيام بمهامها وواجباتها الاقتصادية، وغيرها، فإن فعلت ذلك فقد حكمت على نفسها بالفقر، والذلة، بل بالعدم والفناء.

٤- وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله – تعالى – من العجز والكسل(٢)، والفرق بينهما: أن الكسل: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله، والعجز عدم القدرة.(٣)

٥- وكان رسول الله ﷺ يشحذ الهمة، ويأمر بالحرص على ما ينفع، والاستعانة بالله، فيقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ».(٤)

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ١١٢/٢ رقم ١٤٢٩، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ٧١٧/٢ رقم ١٠٣٣ ، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف ١٢٢/٢ رقم ١٦٤٨، والنسائي، كتاب الزكاة، باب اليد السفلى ٦١/٥ رقم ٢٥٣٣ .

(٢) حديث استعاذة النبي ﷺ من العجز والكسل أخرجه: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن ٢٣/٤ رقم ٢٨٢٣ ، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل ٢٠٧٩/٤ رقم ٢٧٠٦، وأبو داود، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة ٩٠/٢ رقم ١٥٤٠، والترمذي ، أبواب الدعوات، بابٌ ٥٢٠/٥ رقم ٣٤٨٤، والنسائي ، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من البخل ٢٥٧/٨ رقم ٥٤٤٨، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر ٣١/١ رقم ٧٩ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣٦/٦ ، وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨/١٧ .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٢٠٥٢/٤رقم٢٦٦٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا غلبه أمر ٢٣٠/٩رقم ١٠٣٨٢، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر ٣١/١رقم ٧٩ من حديث أبي هريرةﷺ.

المطلب الثالث: تشجيع السنة النبوية على البناء، والتشييد، والعمران:

اهتمت السنة النبوية بمجال البناء، وتشييد العمران؛ وذلك لما له من أثر كبير على حياة الفرد والمجتمعات، وبناء الحضارة؛ فمن الضروري لحياة الإنسان أن يكون له بيت يؤويه من الحر، والبرد، والأذى، ويستقر وأهله فيه؛ فلهذا حثت السنة النبوية على البناء، والتشييد قولًا، وعملًا، وكان لها تأثير كبير في هذا المجال، كما كان لها ضوابط، وقيم تجب مراعاتها عند البناء، ومن أهمها:

١- عدم جواز البناء إلا على أرض يملكها الإنسان، من غير ظلم، ولا اعتداء:

وعليه يدل الحديث الشريف: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»[(١)]، فهذا الحديث يدل بمفهومه على أنه لا يجوز للمسلم أن يعمر أرضًا مملوكة لغيره، وإلا كان اعتداء على مال الغير الذي نهى الشرع عنه.

فعن معاذ بن أنس الجهني ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتُفِعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى ».[(٢)] فحث على البنيان، والغرس، لكنه شرط أن يكونا من غير ظلم، ولا اعتداء، وفي هذا مراعاة لملك الغير.

٢- مراعاة حقوق الجيران في البناء:

أولت السنة النبوية اهتمامًا كبيرًا بالجار من حيث بيان حقوق الجوار في الإسلام، ومراعاته في كل حال، والإحسان إليه، والوقوف معه في الشدة، وكف الأذى عنه، واحتمال الأذى منه .. إلى غير ذلك، والذي نريد أن نركز عليه هنا هو علاقة حسن الجوار بالبناء في السنة، فاعلم – رعاك الله – أن السنة النبوية قد أكدت على أهمية

---

(١) تقدم تخريجه آنفًا صـ ٢٤ .

(٢) أخرجه: أحمد ٣٨٢/٢٤ رقم ١٥٦١٦ ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤١٦/٢ رقم ٩٥٧، والطبراني في المعجم الكبير ١٨٧/٢٠ رقم ٤١٠ ، وإسناده ضعيف من أجل ضعف زبان بن فائد (التقريب لابن حجر صـ ٢١٣ رقم ١٩٨٥).

حسن الجوار، وعدم إيذائهم بالبناء، أو أثناء البناء، إلا بإذن أو تعويض.

أ- فعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيسْكُتْ».(١)

ب- وعن أَنَس بن مالك ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".(٢)

ت- والحديث الذي سبق ذكره آنفًا :« مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ ... » ينص صراحة على تحريم ظلم الجار وغيره بالبنيان، ومما يؤكد التحريم - أيضًا: عموم حديث: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(٣) ، والله أعلم.

٣- النهي عن الخيلاء، والإسراف في البناء:

نهى النبي ﷺ عن الإسراف في كل شيء، ومن ذلك الإسراف في البناء والتطاول فيه لغير حاجة أو منفعة، بأن يبني الإنسان ما يزيد عن حاجته، وحاجة عياله، لما فيه من إهدار المال فيما لا ينفع، وتعلق القلب به وصرف الأوقات في تزويقه وزخرفته، وهذا مفضٍ إلى نسيان الآخرة مستلزمٌ للركون إلى الدنيا، والاطمئنان إلى لذَّاتها.

كما نهى ﷺ - أيضًا - عن البناء رياءً، ومفاخرة، وخيلاء.

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ١١/٨ رقم ٦٠١٨، ومسلم - واللفظ له - كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار ٦٨/١ رقم ٤٧، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في حق الجوار ٣٣٩/٤ رقم ٥١٥٤.

(٢) أخرجه: مسلم - واللفظ له - كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٦٨/١ رقم ٤٥، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان ٢٦/١ رقم ٦٦، وأحمد ١٩٣/٢٠ رقم ١٢٨٠١ .

(٣) أخرجه: ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠، وأحمد ٤٣٨/٣٧ رقم ٢٢٧٧٨ ، والشاشي في مسنده ١٣١/٣ رقم١١٩٩، والطبراني في الكبير ١٨٧/٢٠رقم٤١٠ من حديث عبادة بن الصامت، وسنده صحيح.

وهذا ما يُفسَّر به الأحاديث التي وردت عنه ﷺ يذم فيها البناء:

أ- فعن أنس ﷺ عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال : «أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا»، يَعْنِي مَا لَا بُدَّ مِنْهُ "[1] ، وهو محمول على ما زاد على الحاجة .[2]

ب- وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ»[3]، ... إلى غير ذلك مما ورد في الباب.[4]

فهذه الأحاديث يوهم ظاهرها أنَّ في البناء كله الإثم، وليس كذلك، فقد عقَّب الحافظ ابن حجر بقوله:(وليس كذلك، بل فيه التفصيل، وليس كل ما زاد منه على الحاجة يستلزم الإثم..وإن كان في بعض البناء ما يحصل به الأجر، مثل الذي يحصل به النفع لغير الباني؛ فإنه يحصل للباني به الثواب، والله-سبحانه وتعالى-أعلم).أهـ[5]

فالإسلام يكره الإسراف والغلو في كل شيء، فهو دين الوسطية والاعتدال، والمسلم عدل متوسط في كل شئونه، وقد أمر الله بالإنفاق في القرآن الكريم، فذم الإسراف، والتقتير، ومدح من لزم التوسط:

قال الله - سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[6]

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: « كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ

---

(١) أخرجه: أبو داود – واللفظ له – كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء ٣٦٠/٤ رقم ٥٢٣٧، وابن ماجه ، كتاب الزهد، باب في البناء والخراب ١٣٩٣/٢ رقم ٤١٦١، وأحمد ٢٦/٢١ رقم ١٣٣٠١، وأبو يعلى ٣٠٨/٧ رقم ٤٣٤٧ ، وإسناده حسن .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٢٩/١٠ .

(٣) أخرجه: مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ١٦٦٦/٣ رقم ٢١٠٧ .

(٤) ينظر في ذلك: فتح الباري لابن حجر ٩٢/١١ ، ٩٣ .

(٥) فتح الباري لابن حجر ٩٣/١١ ، وينظر: فيض القدير للمناوي ٤٥٦/٦.

(٦) سورة الفرقان آية ٦٧ .

إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ».[1]

٤- الأمر النبوي بإتقان العمل - ومنه البناء -، والنهي عن الغش:

أ- فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[2]، وهذا النهي عام في كل شيء، ولا شك أن الغش في البناء سواء باستخدام مواد للبناء غير مطابقة لمواصفات الأمان المقررة أو غير ذلك، من أعظم الغش الذي يعرض حياة الناس للخطر، فكم هلك من الناس بسبب الغش والخيانة في البناء.

وقد أعلنت السنة النبوية منذ البداية أن الخيانة والغش من صفات أهل النفاق والفسق والجشع والطمع، أما المؤمن فمن صفاته الأمانة، والنصح، ومحبة الخير، وإتقان العمل حسبة لله - عز وجل - الذي يحب ذلك منا.

ب- ففي الحديث المرفوع: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ».[3]

وغيرها من النصوص النبوية الحاكمة لمشروع الاستخلاف، والبناء الحضاري للمجتمعات الإنسانية.

وبهذا تتميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من النظريات البشرية، كالرأسمالية التي تحكمها المادية البحتة، حيث أتاحت التجرد من أخلاقيات الكسب، والانفلات من قيود الملكية العادلة، والاشتراكية التي وَأَدَت الرغبة البشرية في زيادة الإنتاج والإعمار، من

---

(١) أخرجه: النسائي - واللفظ له - كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة ٧٩/٥ رقم ٢٥٥٩، وابن ماجه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت، ما أخطأك سرف أو مخيلة ١١٩٢/٢ رقم ٣٦٠٥، وأحمد ٢٩٤/١١ رقم ٦٦٩٥، وإسناده حسن .

(٢) أخرجه: مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» ٩٩/١ رقم ١٠١، والترمذي، أبواب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع ٥٩٨/٣ رقم ١٣١٥، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش ٧٤٩/٢ رقم ٢٢٢٥ .

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط ٢٧٥/١ رقم ٨٩٧، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٣٤٩/٧ رقم ٤٣٨٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٣٢/٧ رقم ٤٩٢٩، ٤٩٣١، ٤٩٣٠، من حديث السيدة عائشة - رضي الله عنها ، وإسناده حسن .

خلال التسلط على حق الملكية الفردية، وعطلت الطموحات ، وصادمت الفطرة السليمة، وأما شريعتنا فقد راعت المصالح العامة والخاصة على حد سواء، فأباحت للفرد حق التملك، وحرية الإعمار، لكنها ضبطت ذلك بمنظومة قيمية وأخلاقية بحيث لا تضر بالمصالح العامة، وأرست دعائم نظام اقتصادي على أساس العدل، والمساواة، والتعاون بمقاصد متكاملة ومترابطة ومتوازنة؛ إذ هي منهج رب العالمين – سبحانه وتعالى – لإصلاح العباد.

المطلب الرابع: بناء المسجد النبوي كمثال عملي للسنة النبوية في الحث على البناء والعمران:

يُعدّ بناء المساجد من أهم ركائز بناء المجتمع الإسلامي، ولهذا كان أول أعمال النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة أن أسس مسجدًا على تقوى من الله ورضوان.

ويُعدّ بناءُ المسجد النبوي حدثًا فريدًا في تاريخ العمارة الإسلامية؛ فهو بناء إسلامي خالص، ومن خلاله يعلمنا الرسول ﷺ أسس عمارة المساجد، ويعطينا العديد من المفاهيم المعمارية، والدروس العملية المهمة، التي لا غنى للمسلمين عنها في كل عصر وفي كل مصرٍ.

وفيما يلي نبذة عن بناء المسجد النبوي، وبعض تلك الدروس:

١- أصر النبي ﷺ على شراء الأرض التي بنى عليها المسجد من أصحابها، وكانت ملكًا لغلامين يتيمين من بني النجار، ولم يشأ أن يتنازل عنها أصحابها دون ثمن، فهي قاعدة مهمة عند اختيار الأرض التي تُبنى عليها المساجد، أن تُشترى من أصحابها بالمال، وأن يتم تقدير ثمنها بالعدل دون بخس، أو يتمّ تعويضهم عنها.

٢- وكان هذا الموضع قد بركت فيه ناقته القصواء عند وصوله ﷺ المدينة ؛ وكان مِربدًا (موضعًا لتجفيف التمر)، وكان فيه شجر من نخيل، وغرقد، وبعض قبور دارِسَة.

٣- أمر الرسول ﷺ بالنخيل فقُطع، وبالقبور فنبشت ونقلت، وحفر الأساس ثلاثة أذرع، وجعل طول المسجد مائة ذراع، وبنيت جدرانه بالطوب اللَّبِن، وجُعلت عضادتاه من

الحجارة، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه الجريد، وفراشه الرمال والحصباء، وهو درس آخر مفاده استخدام المواد المتوافرة في البيئة للبناء وتنفيذ المشروعات.

٤- اشترك الرسول ﷺ مع أصحابه في بناء المسجد، إذ كان يحمل اللبنات والأحجار على كاهله، ويجتهد ويكافح كواحد من أصحابه، فهو أعظم قدوة شهدتها الأرض، وعرفها التاريخ.

٥- وما أعظم سرور الصحابة وهم يعملون جنباً إلى جنب، بهمّة عالية، وإرادة صلبة، وعزيمة لا تلين، ويروّحون عن أنفسهم بأبيات من الشعر الحسن، تزيد من نشاطهم، وتخفّف عنهم مشقّة العمل، فمن ذلك قولهم:

هـــذا الحمـــال لا حمـــال خيبـــر هـــذا أبـــر ربنـــا وأطهـــر.

ورسول الله ﷺ يشاركهم في نقل الحجارة، وإنشاد الأشعار، فكان يرتجز بقول الشاعر:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ***** فارحم الأنصار والمهاجرة.

٦- تزامن وقت تهيئة الأرض لبناء المسجد مع وقت تجهيز الطوب كسبًا للوقت، وهذا الأسلوب متبع في العصر الحديث، عند وضع الجداول الزمنية لمراحل تنفيذ المشروعات، حيث يتم عمل مرحلتين أو أكثر في وقت واحد إن أمكن.

٧- استغرق بناء المسجد النبوي اثني عشر يوماً ، ثم أمر النبي ﷺ ببناء حجرات لنسائه، وحدّد موقعها بحيث تحد المسجد من جهة الشمال والشرق والجنوب، وبعد اكتمالها ترك دار أبي أيوب ﷺ، وانتقل للسكنى فيها.

٨- وعلى هذا النحو من البساطة والاستخدام الحكيم للموارد في البناء أُسّس المسجد النبوي المبارك.

وفي هذا البناء البسيط المتواضع، ربّى الرسول ﷺ الصحابة الكرام، حيث كان يؤمهم بالقرآن، ويتعهّدهم به، ويزكي أخلاقهم، ويهذب سلوكهم، ويُعِدُّهم لنشر دين الله – عز وجل.

٩- وهذا درس يعلمنا أن العبرة بقيمة المعلم، واستعداد الطلاب، وليس بفخامة المدرسة، ولا كثرة التبرعات.

١٠- وببناء المسجد النبوي تحقّق للمسلمين حلمهم الكبير في الاجتماع للعبادة، وذكر الله، والصلاة، والتعارف، والتآلف، وتوحيد الصف، والعمل على تثبيت دولة الإسلام، ولم يتوقّف دور المسجد عند هذا الحد، بل صار موضعاً للحكم والقضاء، وإدارة الدولة وسياستها، ومنطلقًا لقوافل الجهاد، ومأوى للفقراء من أهل الصفّة، ومنارة للعلم، تشعّ فيه أنوار الهدى إلى يومنا هذا. (١)

١١- بناء المساجد، والمساكن في زمن النبي ﷺ ينفي كل اعتقاد أن المجتمع النبوي لا فكر عندهم، ولا علم لديهم، ولم يكن يعيش إلا في الخيام .

والخلاصة: أن السنة النبوية لعبت دورًا بارزًا في إعمار الأرض وإصلاحها وتشييد البناء مثل المساجد والقصور، وفي الاهتمام بالجمال والتناسق في البناء، والاستخدام الحكيم للموارد في البناء، واستخدام المواد المتاحة في البناء، والاهتمام بالبيئة في الإعمار، وتطوير الفنون الإسلامية، كما شكلت مصدرًا أساسيًا للفنون الإسلامية، وأساسًا قويًا لبناء الحضارة الإسلامية، كما بينت السنة الضوابط الواجب توفرها في البناء، والتشييد.

(١) ينظر في موضوع بناء المسجد النبوي: صحيح البخاري ٩٣/١ رقم ٤٢٨، ٦٧/٥ رقم ٣٩٣٢، صحيح مسلم ٣٧٣/١ رقم ٥٢٤، سنن أبي داود ١٢٣/١ رقم ٤٥٣، سنن النسائي ٣٩/٢ رقم ٧٠٢، سنن ابن ماجه ٢٤٥/١ رقم ٧٤٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٤/١، سيرة ابن هشام ١٠١/٢، البداية والنهاية لابن كثير ٥٣٠/٤، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي صـ ٢٧٩، السيرة النبوية الصحيحة، د.أكرم ضياء العمري ٢٤٣/١، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أد. محمد محمد أبو شهبة ٢١/٢، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافى محمد عبد اللطيف صـ ١٦٧، فقه السيرة، منير محمد الغضبان صـ ٣٥٥ .

المبحث الرابع

ارتقاء السنة النبوية بالحضارة الإنسانية في الجانب الاجتماعي

للسنة دور قوي، وحاضر في الجانب الاجتماعي، وتأثيرها على بناء أي مجتمع، وتقوية دعائمه يظهر فيما يلي:

المطلب الأول: الأسس النبوية لبناء المجتمعات الإسلامية:

لاشك أن المجتمع الذي أنشأه النبي ﷺ في المدينة هو مثال للمجتمعات الآمنة المستقرة ،فمنذ أن وطىء النبي ﷺ بقدمه المدينة، عمل على إرساء دعائم الدولة الإسلامية، وأسّسَ لبناء مجتمع إسلامي جديد، بما يلي:

أولًا: بناؤه ﷺ المسجد النبوي أوّل قدومه المدينة: مما ساعد في إيجاد مكان يجمع فيه كل أطياف المجتمع ، فيلتقون فيه، ويتعارفون، ويسأل بعضهم عن بعض، مما يزيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع. (١)

ثانياً: إخاؤه ﷺ بين المهاجرين، والأنصار، وتأسيسه المجتمع على المحبة والمودة والصفاء:

وقد عمل هذا على زيادة التعاون والتماسك بين أفراد المجتمع المدني بما لم يُسمع بمثله؛ حيث آخى النبي ﷺ بين العجمي والعربي، وبين الحر والمولى، وبين القرشي وغيره من أهل القبائل، فصار المجتمع لُحمة واحدة ، وجسداً واحداً، فلم يُستغرب بعدها أن يطلب الأنصاري من المهاجر أن يتقاسم معه ماله نصفين، وأن يعرض الأنصاري على المهاجر إحدى نسائه ليطلقها له ويتزوجها، وكان المهاجر يرثُ الأنصاريَّ لقوة ما بينهما من العلاقة، ثم نسخ التوارث بينهما بآية المواريث، فبمثل هذا المجتمع تضرب الأمثال.

---

(١) وقد تكلمنا آنفًا عن بناء المسجد النبوي صـ ٣٠، وتطرقنا إلى ذكر بعض الدروس المستفادة، بما يغني عن إعادة ذكره هنا .

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: لمَّا قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني، وبين سعد بن الربيع، فقال سعد ابن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقْسِم لك نصف مالي، وانظر أيَّ زوجتي هويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلَّت تزوجتَها، قال: فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك،هل من سوق فيه تجارة؟ قال:سوق قينقاع" الحديث.(١)

كما أسس النبي ﷺ المجتمع على المحبة والمودة والصفاء والألفة، وذلك بالدعوة إلى أن يتحلى كل المسلمين بهذه الصفات، وأن تمتزج بها قلوبهم قبل أن تترجمها أفعالهم، فألّف الله بين قلوب أهل المجتمع المدني، وكان الحب في الله – تعالى – شعارًا لهم، وقد جعلته السنة النبوية من علامات كمال الإيمان.

فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».(٢)

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال:«الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ،وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ».(٣)

وعن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار٣١/٥رقم ٣٧٨٠، والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في مواساة الأخ ٣٢٨/٤ رقم ١٩٣٣، والنسائي، كتاب النكاح، باب الهدية لمن عرّس ١٣٧/٦ رقم ٣٣٨٨ .

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٢/١ رقم ١٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ٦٧/١ رقم ٤٥، والترمذي، أبواب صفة القيامة، بابٌ ٦٦٧/٤ رقم ٢٥١٥، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة الإيمان ١١٥/٨ رقم ٥٠١٦، وابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان ٢٦/١ رقم ٦٦ .

(٣) أخرجه: أبو داود، كتاب الديات، باب إيقاد المسلم بالكافر١٨٠/٤ رقم٤٥٣٠، والنسائي، كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار والمماليك ١٩/٨ رقم٤٧٣٤، وابن ماجه، كتاب الديات ، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم ٨٩٥/٢ رقم٢٦٨٣، وسنده صحيح.

بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".[1]

وغير ذلك من التعاليم النبوية التي كان لها أثرُها الملموس في سرعة الاندماج بين أفراد المجتمع، وإزالة الفوارق الاجتماعية، ومحو العصبية القبلية، فصار المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد.

ثالثاً: مشروعية الزكاة في السنة الثانية للهجرة، كمظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي:

والتكافل الاجتماعي: هو شعور الفرد بتحمُّل التَّبِعات، والمشاركة في الأزمات، إزاء كل فرد محتاج، يعيش معه في مجتمع واحد.

وهذا التكافل من مظاهر الحضارة الإنسانية التي دعت السنة النبوية إلى بقائها واستمرارها، فجاء تشريع الزكاة ليكون أحد مقومات بقاء هذا المظهر الحضاري، والتكافل الإنساني.

فالزكاة في الإسلام كانت ولا تزال من أعظم المواساة، والتكافل من الأغنياء للفقراء، ومن أحسن الأعمال التي تقوي أواصر الأخوة في الله، وتماسك المجتمع، حيث تجمع الزكاة لصالح الفقراء والمحتاجين والمساكين.

ولم تكتف السنة النبوية بالزكاة المفروضة، بل وسعت مفهوم الزكاة لتشمل صدقة التطوع، كما وسعت من دائرة المنتفعين بهذه الصدقات، حتى شملت كل وجوه البر والإحسان، وشملت الغني، والسارق، والبغي.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ:

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٨/١٠ رقم ٦٠١١، ومسلم – واللفظ له – كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/١٩٩٩ رقم ٢٥٨٦.

تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ".(١)

على أن هناك جملة من الوصايا والأحاديث تدعم مبدأ التكافل الاجتماعي، ومنها:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».(٢)

٢- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. (٣)

وعن أبي موسى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني، وهو لا يعلم ١١٠/٢ رقم ١٤٢١، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها ٧٠٩/٢ رقم ١٠٢٢، والنسائي، كتاب الزكاة، باب إذا أعطاها غنيًا وهو لا يشعر ٥٥/٥ رقم ٢٥٢٣ .

(٢) أخرجه: مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤ رقم ٢٦٩٩، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في المعونة للمسلم ٢٨٧/٤ رقم ٤٩٤٦، والترمذي، أبواب الحدود، باب ما جاء في الستر على المسلم ٣٤/٤ رقم ١٤٢٥، والنسائي في الكبرى، كتاب الرجم، باب الترغيب في ستر العورة ٤٦٥/٦ رقم ٧٢٤٤، وابن ماجه، في المقدمة، باب فضل العلماء ٨٢/١ رقم ٢٢٥ .

(٣) أخرجه: مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال ١٣٥٤/٣ رقم ١٧٢٨، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال ١٢٥/٢ رقم ١٦٦٣ .

بَعْضًا».[1] وهكذا أسس النبي ﷺ المجتمع الإسلامي على التضامن، والتكافل الاجتماعي، فالمجتمع كله جسدٌ واحد، وروح واحدة في الإحساس بالألم، والشعور بالمشاركة فيه،والفرد فيه لَبِنَةٌ كريمة في بيئة صالحة شأنها البناء والنهوض.

رابعًا: تأسيس السنة النبوية المجتمعَ على أساس العدل، والمساواة:

دعت السنة النبوية إلى تطبيق العدل، والمساواة باعتبارهما من القيم النبيلة التي لا بد منها لبناء أي مجتمع، والحفاظ على أمنه، واستقراره، وهذه لمحة موجزة عن وجوه العدل في السنة النبوية إجمالًا:

١- ففي مجال الحكم والقضاء: أمرت السنة النبوية بتطبيق مبدأ العدل والمساواة، باعتبارهما من أعظم ركائز الفصل بين الناس، وأحسن وسائل إيصال الحقوق إلى أهلها، وأقرب الطرق إلى استتباب الأمن في المجتمع.

فكل الناس سواء أمام الحاكم والقاضي في السنة النبوية، ومن أشهر الأحاديث التي تبرز هذا المعنى بأبهى صوره، ما جاء في حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ:" إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ".[2]

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا ١٢/٨ رقم ٦٠٢٦، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ١٩٩٩/٤ رقم ٢٥٨٥، والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ٣٢٥/٤ رقم ١٩٢٨، والنسائي، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه ٧٩/٥ رقم ٢٥٦٠ .

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار ١٧٥/٤ رقم ٣٤٧٥، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره ١٣١٥/٣ رقم ١٦٨٨ ، وأبو داود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه ١٣٢/٤ رقم ٤٣٧٣، والترمذي، أبواب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود ٣٧/٤ رقم ١٤٣٠، والنسائي، كتاب قطع السارق، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية ٧٣/٨ رقم ٤٨٩٩ ، وابن ماجه، كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود ٨٥١/٢ رقم ٢٥٤٧ .

وجاء في السنة التحذير من القضاء بغير الحق، كما في حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ".(١)

فبالعلم والعدل يتحقق مقصود الشرع من إعطاء كل ذي حق حقه، أما إذا حكم القاضي بلا علم في المسألة، أو عدل عن الحق بعد علمه به، فعند ذلك يستحق دخول النار؛ لأنه ضيع حقوق العباد، وأفسد البلاد.

٢- وفي مجال الأسرة: حرصت السنة النبوية على أن تدار بالعدل، وحذرت رب الأسرة من الجور- ولو في أبسط الأشياء – فنهته عن التمييز بين الأولاد في العطاء، وأمرته بتحري العدل؛ لأنه مسؤول عن رعيته.

فعن النُّعْمَان بن بَشِيرٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ، وفي رواية: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ».(٢)

---

(١) أخرجه: أبو داود – واللفظ له – كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ ٢٩٩/٣ رقم ٣٥٧٣، وقال: وهذا أصح شيء فيه، والترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي٦٠٥/٣رقم١٣٢٢، والنسائي في الكبرى، كتاب القضاء،ذكر ما أعد الله للحاكم الجاهل٣٩٧/٥ رقم٥٨٩١،وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق٧٧٦/٢ رقم ٢٣١٥، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة ١٥٨/٣ رقم ٢٥٨٧، وكتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور ١٧١/٣ رقم٢٦٥٠، ومسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة١٢٤١/٣رقم١٦٢٣،وأبو داود، أبواب الإجارة، باب في الرجل يفضل بعض ولده ٢٩٢/٣ رقم ٣٥٤٢، والترمذي، أبواب الأحكام، باب ما جاء في النحل والتسوية بين الولد ٦٤١/٣رقم١٣٦٧،والنسائي،كتاب النحل٢٥٨/٦ رقم٣٦٧٢، وابن ماجه، كتاب الهبات، باب الرجل ينحل ولده٧٩٥/٢ رقم٢٣٧٥.

وغير ذلك من المجالات التي راعت السنة النبوية فيها العدل، والمساواة، ولا يتسع المقام لذكرها جميعًا.

وهكذا جعلت السنة النبوية العدل، والمساواة من أهم المبادئ، والأخلاق التي تحفظ للأسرة تماسكها، والمجتمع وحدته، وتقدمه، وأمنه، واستقراره.

المطلب الثاني: المسؤولية الاجتماعية في منظور السنة النبوية، وأثرها في بناء الفرد والمجتمع

يقصد بالمسؤولية الاجتماعية: ذلك الالتزام الذي يتحلى به كل فرد، وكل مؤسسة تجاه المجتمع.

والمسؤولية شرعًا: تحمّل الشخص نتيجة اختياراته، والتزاماته، وقراراته، وأفعاله أمام الله ، وأمام المجتمع.(١)

ومعناه: أن كل إنسان مسؤولٌ عن كل شيءٍ قد جعل له الشرع سلطانًا عليه، متحملٌ مسؤوليةَ ما وجب عليه، سواء كانت المسؤولية فردية، أو جماعية.

ولا يستطيع منصف أن ينكر دور السنة النبوية القوي في تعزيز الإحساس بالمسؤولية على مستوى الفرد والمجتمع، بل إنها سبقت الأنظمة والقوانين المعاصرة في تقرير المسؤولية بين أفراد المجتمع، حيث تؤكد السنة النبوية منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان أهمية المسؤولية في بناء الحضارة، وأن الحياة لا تستقيم بغير مسؤولية، وأن المسؤولية شاملة لكل فئات المجتمع بلا استثناء، فلا تقتصر على الفقير دون الغني، ولا الضعيف دون القوي، ولا المحكوم دون الحاكم، بل تشمل غير المسلمين الذين لهم عهد، وذمة.

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أنه: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ

(١) ينظر: علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن محمد علي صـ ٢٥٢ .

مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».(١)

فهذا الحديث يؤكد على أهمية المسؤولية في الإسلام، وعلى تحمل المسؤولية في جميع المجالات، بما في ذلك:

١- المسؤولية الفردية الشخصية: فكل شخص مسؤول عن أقواله وأفعاله وقراراته، بل ومعتقداته أمام الله ، وأمام المجتمع، فالله ﷻ يقول في كتابه: " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ "(٢)، ويقول النبي ﷺ : «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ».(٣)

فقد استعملت السنة النبوية في تعزيز الإحساس بالمسؤولية الجزاء الأخروي؛ حيث بينت أن أفعال الفرد سيسأل عنها يوم القيامة، فإن أحسن فله الأجر والثواب، وإن أساء استحق أليم العقاب.

٢- المسؤولية العائلية: فكل فرد في الأسرة أبًا كان أو أمًا أو ولدًا أو خادمًا عليه أن يتحمل المسؤولية تجاه ما طُلِب منه، كلٌ عليه واجبات بلا استثناء، وقد سبق آنفًا ذكر حديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب: العبد راع في مال سيده ١٢٠/٣ رقم ٢٤٠٩ ، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.. ١٤٥٩/٣ رقم ١٨٢٩، وأبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية ١٣٠/٣ رقم ٢٩٢٨، والترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في الإمام ٢٠٨/٤ رقم ١٧٠٥، والنسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب مسألة كل راع عما استرعى ٢٦٧/٨ رقم ٩١٢٨ .

(٢) سورة المدثر ، آية ٣٨ .

(٣) سبق تخريجه صـ ١٩ .

وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .. وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

٣- المسؤولية الاجتماعية: فمن مقومات المجتمع إحساس كل فرد، وكل مؤسسة بالمسؤولية في بناء المجتمع، والإحساس بقيمة المجتمع، وتعزيز العلاقات الاجتماعية، والإسهام الإيجابي في المجتمع.

ومن مقومات الإحساس بالمسؤولية: منع المفسدين من تهديد المجتمع؛ لأن المجتمع ملك للجميع، وليس لفرد بعينه، ولا طائفة بعينها، فإصلاح المجتمع مسؤولية الجميع، ونفعه يعمهم، وإفساده – ولو من فرد أو شرذمة قليلة – يضر الجميع؛ وقد شبه النبي ﷺ المجتمع بالسفينة التي في نجاتها نجاة الجميع، وفي إفسادها غرق الجميع، إذا سكت المصلحون عن المفسدين.

فعن النعمان بن بشير– رضي الله عنهما – عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا ".[١]

ومن أعظم مقومات الإحساس بالمسؤولية تجريم الاعتداء على الدماء والأعراض والأموال، وهذا ما قررته السنة النبوية ؛ ففي الحديث الصحيح المشهور: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».[٢]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ ١٣٩/٣ رقم ٢٤٩٣ ، والترمذي، أبواب الفتن، باب منه ٤٧٠/٤ رقم ٢١٧٣، وأحمد ٣١٠/٣٠ رقم ١٨٣٦١ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم ودمه وعرضه وماله ١٩٨٦/٤ رقم ٢٥٦٤ ، وأبو داود ، كتاب الأدب، باب في الغيبة ٢٧٠/٤ رقم ٤٨٨٢ ، والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ٣٢٥/٤ رقم ١٩٢٧، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله ١٢٩٨/٢ رقم ٣٩٣٣ من حديث أبي هريرة ﷺ.

كما دعت السنة النبوية إلى ضرورة الحفاظ على المال العام، وشددت على محاسبة من يستغل منصبه ليأكل أموال الناس بالباطل؛ فعن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ"، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ».(١)

ومن أعظم مقومات الإحساس بالمسؤولية ارتباطها بفكرتي الإلزام، والجزاء؛ فهي أفكار ثلاثة لا تقبل الانفصام، فإذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على إثرها، وإذا اختفت ذهبتا على الفور في أعقابها؛ فالإلزام بلا مسؤولية إلزام بلا ملزَم، ولا تجد كائنًا مُلزَمًا ومسؤولًا بلا جزاء مناسب، إلا بتعرية الكلمات من معانيها.(٢)

ولهذا، فإنه لا يكفي لتحقيق المسؤولية الالتزام الشخصي المحض دون أساس قانوني يحاسب الشخص على أفعاله بعد أن يعلمه بما عليه من حقوق مسبقًا.(٣)

كذلك أكدت السنة النبوية على ضرورة التحلي بالصدق والأمانة والعدل والمساواة في التعامل مع الآخرين، والنصوص في ذلك كثيرة، وهذا كله يعزز الإحساس بالانتماء

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدى إليه ٢٨/٩ رقم ٦٩٧٩ مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال ١٤٦٣/٣ رقم ١٨٣٢ ، وأبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في هدايا العمال ١٣٤/٣ رقم ٢٩٤٦ .

(٢) دستور الأخلاق. د. عبد الله دراز صـ ١٣٦ باختصار وتصرف يسيرين – تحقيق وتعليق د. عبد الصبور الشاهين ط: الرابعة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م – مؤسسة الرسالة بيروت .

(٣) ينظر: دستور الأخلاق. د. عبد الله دراز صـ ١٤٨ – ١٦٣ باختصار .

والمسؤولية.

ومما سبق نستنتج أن تطبيق السنة النبوية له تأثير قوي على شخصية الفرد، وعلى المجتمع بأكمله حيث:

١- تسهم في بناء شخصية قوية ومستقرة. ٢- تعزز التفكير الحر والبحث عن الحقائق، والتقدم، والتطور.

٣- تشجع على التسامح والتعايش السلمي. ٤- تعلم الفرد كيفية التعامل مع التحديات والصعوبات.

٥- تحفظ تماسك المجتمع، واستقراره، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة.

٦- تعزز الإحساس بالانتماء والمسؤولية، وتدعو إلى التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٧- تعمل على تطبيق مبادئ الصدق، والأمانة، والعدل، والمساواة .

٨- تعمل على محاسبة المعتدين، وإيقاف المرتشين، والمستغلين.

الخاتمة

أولًا: أهم النتائج: كان من أبرز نتائج الدراسة ما يلي:

١- إنسانية الحضارة الإسلامية، وعالميتها؛ لأنها حضارة لا تفرق بين أمة، وأمة بفوارق الجنس، أو اللون، أو العِرق، أو اللغة، وهي حضارة الغد بإذن الله.

٢- لا يمكن إصلاح الفرد، والمجتمع، وبناء الحضارة بمعزل عن الوحي الإلهي.

٣- أسهمت السنة النبوية في الارتقاء بالفرد، والحضارة الإنسانية.

٤- السنة النبوية من أهم مصادر التربية، وهي مليئة بالكثير من المبادئ الحية، والدعائم التربوية المتجددة.

٥- كثير من النظريات التي تدرس في أسس التربية، وعلم النفس لها أصول في السنة النبوية.

٦- سبقت السنة النبوية الأنظمة الحديثة، والأبحاث المعاصرة، والنظريات الفلسفية، والقوانين الوضعية، والأسس التربوية المعاصرة التي وُضعت للإسهام في تقدم الإنسان، وبناء الحضارات.

٧- تحافظ السنة النبوية على التوازن، والتكامل في بناء الحضارة، من خلال تأهيل الفرد، والمجتمع في جميع المجالات، واهتمامها بجميع جوانب تطور الإنسان ، وبناء حضارته.

٨- عالجت السنة النبوية كثيرًا من القضايا المعاصرة بتقديم الحلول الرائعة في كل مجال بطريقة متوازنة، متكاملة، لا تتعارض مع أي مجال آخر، بدون أن تشهد خللًا في البناء الحضاري.

٩- اعتبرت السنة النبوية أن بناء الفرد أولى بكثير من بناء المنازل والعقارات.

١٠- عملت السنة على نشر روح التفاؤل، والإيجابية بين الناس.

١١- اهتمت السنة النبوية بتعزيز الإحساس بالانتماء، والمسؤولية، والتكافل في المجتمع، وبيان أن القيادة تكليف، لا تشريف.

١٢ تحفظ السنة النبوية للمجتمع الذي يطبق مبادئها، وتعاليمها تماسكه، وتضمن استقراره.

١٣- السنة النبوية – باعتبارها أحد الوحيين، وما لها من مميزات – عالميةٌ صالحةٌ لكل زمان، ومكان.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- الدعوة إلى تطبيق السنة النبوية في كل المجالات، من خلال مناهج التدريس، ووسائل الإعلام المختلفة.

٢- الدعوة إلى مشاركة علماء الشريعة، وعلم النفس، والاجتماع، والأطباء للتنسيق والتخطيط في جميع الميادين لمواجهة التحديات.

٣- ضرورة استنباط الدلالات الموضوعية، وتعزيز فهم نصوص السنة النبوية في كل قضايا الفرد، والمجتمع.

٤- ضرورة استغلال مبادئ السنة النبوية، وقيمها، وتعاليمها في إعادة بناء حضارة هذه الأمة، وإبراز هذه القيم لجميع الأمم؛ كي نكون هداة مهتدين.

٥- ضرورة الإسهام بمزيد من الدراسات لإبراز دور السنة النبوية في الارتقاء بالحضارة الإنسانية.

٦- على كل فرد ألا يستهين بنفسه، وطاقته، وقدراته، وإمكانياته؛ إذ يمكنه الإسهام في بناء نفسه، وبناء الحضارة الإنسانية.

هذا، وفي الأخير، أعترف بأنني لم أصل درجة الكمال في إعطاء البحث كل ما يستحقه، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع بهذا الجهد الإسلام والمسلمين، وأن يوفقنا لخدمة كتابه، وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: كتب الحديث الشريف، وعلومه ، والسيرة النبوية:

* الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (المتوفى ٣٥٤هـ) – ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى ٧٣٩ هـ) – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

* الأدب المفرد – للبخاري – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

* بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث–المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)– المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) –المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري–الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة –الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢م.

* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – لجلال الدين السيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

* تقريب التهذيب – لابن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

* سنن ابن ماجه – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

* سنن أبي داود– المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

* سنن الترمذي – تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

* سنن الدارمي– المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)–تحقيق: حسين سليم أسد الداراني–الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية–الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.

* السنن الكبرى – للنسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

* سنن النسائي (المجتبى من السنن) – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

* السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي–المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)–الناشر: دار ابن كثير – دمشق –الطبعة: الثانية عشرة – ١٤٢٥هـ.

* السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة–المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)–الناشر: دار القلم – دمشق–الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ.

* السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ–المؤلف: د. أكرم ضياء العمري–الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة–الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

* السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي–المؤلف: عبد الشافي محمد عبد اللطيف–الناشر: دار السلام – القاهرة–الطبعة: الأولى – ١٤٢٨ هـ.

* السيرة النبوية لابن هشام-المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)-المحقق: طه عبد الرؤوف سعد- الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

* الطبقات الكبرى-المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)-تحقيق: محمد عبد القادر عطا-الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

* الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار-المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)-المحقق: كمال يوسف الحوت-الناشر: مكتبة الرشد – الرياض-الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

* المستدرك على الصحيحين – لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

* المصنف – لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) – المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي – الناشر: المجلس العلمي- الهند – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ .

* المعجم الأوسط-المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ-المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني-الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

* المعجم الكبير – لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) – المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي – دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة – الطبعة: الثانية .

* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) – الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

* شرح مشكل الآثار– لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المصري المعروف بالطحاوي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.

* شعب الإيمان–المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)–حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد–أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند–الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند– الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

* صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه –المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي–المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة –(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)–الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

* صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)– المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)– المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* فقه السيرة النبوية–المؤلف: منير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ)–الناشر: جامعة أم القرى–الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل – المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

* مسند الروياني- المؤلف: أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى: ٣٠٧هـ)- المحقق: أيمن علي أبو يماني-الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة -الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

ثانياً: كتب متنوعة :

* أحكام القرآن -المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)-راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

* إحياء علوم الدين - المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) - الناشر: دار المعرفة – بيروت.

* البداية والنهاية -المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)-تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي-الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م-سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* التيسير بشرح الجامع الصغير-المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ-الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض-الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

* الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل - علي الشحود – المركز الثقافي – الدوحة .

* الدلائل في غريب الحديث-المؤلف: قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (المتوفى: ٣٠٢هـ)

تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص-الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض-الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

* الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج-جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلوي الهَرَري الشافعي-مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي-المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة-الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة-الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

* المغني -المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)-الناشر: مكتبة القاهرة-تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

* المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)-المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)-الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* النهاية في غريب الحديث والأثر-المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)-الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

* بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)-المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: ١٢٤١هـ)-الناشر: دار المعارف.

* تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر

المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)-المحقق: خليل شحادة-الناشر: دار الفكر، بيروت-الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* تاريخ دمشق -المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)

المحقق: عمرو بن غرامة العمروي-الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

* تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي-المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)-الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

* تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

المحقق: سامي بن محمد سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

* حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه - المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ-الناشر: دار الجيل - بيروت -دار الفكر، الطبعة - الثانية.

* دستور الأخلاق في القرآن-المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)-الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

* علم الأخلاق الإسلامية-المؤلف: مقداد يالجن محمد علي-الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض -الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

* غريب الحديث-المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي-المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم-مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية-الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري-المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي-الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩-رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي-قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب-عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* فضل علم السلف على الخلف - المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) - دار الصميعي للنشر - الرياض.

* فيض القدير شرح الجامع الصغير-المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)-الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر-الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

* قضاء الحوائج -المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)-المحقق: مجدي السيد إبراهيم-الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة.

* القاموس المحيط-المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)-تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة-بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي-الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان-الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* قصة الحضارة - ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)- ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين

تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر-ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين-الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس-عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

* قوة التفكير الإيجابي في الأعمال، سكوت دبليو، الطبعة العربية الأولى ١٤٢٤هـ - مكتبة العبيكان – الرياض.

* معجم اللغة العربية المعاصرة – المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل-الناشر: عالم الكتب-الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* معرفة الصحابة-المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)-تحقيق: عادل بن يوسف العزازي-الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض-الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

* مقاصد الشريعة الإسلامية -المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)-المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة-الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر-عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.